مجمل اللغة لابن فارس

دراسة في التطور الدلالي

الأستاذ الدكتور

حسن محمد حسن الباجوري

أستاذ أصول اللغة المساعد

في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة

١٤٣٠ - ٢٠٠٩

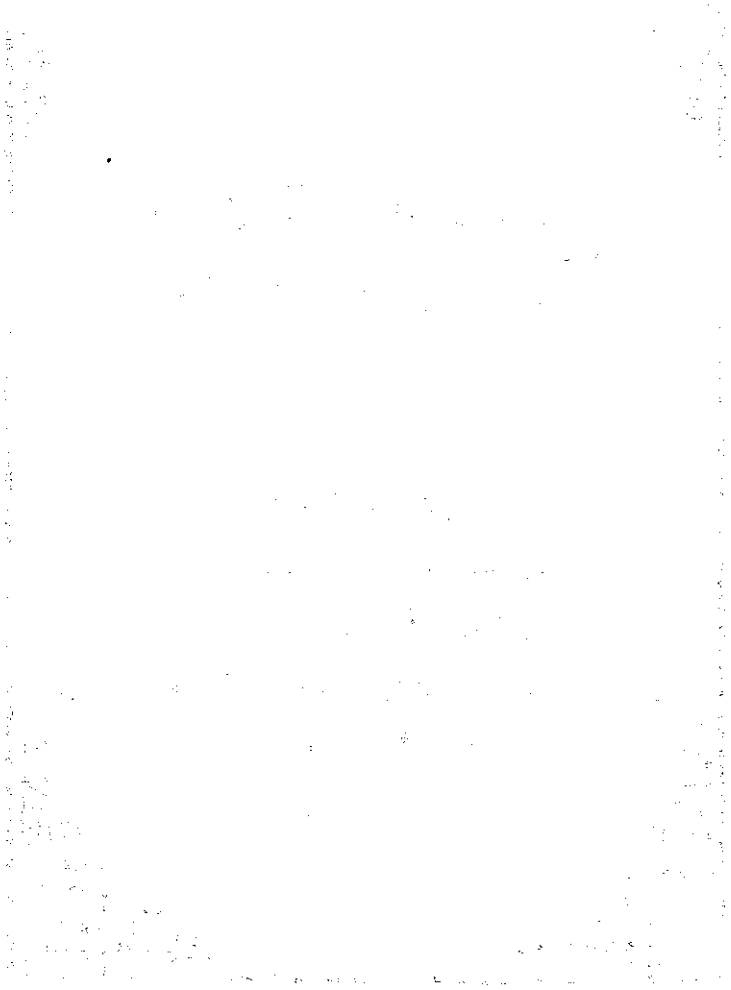

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين ، الذي علّم العلماء ، واقتدى به النبهاء ، وسار على دربه الأتقياء، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والأصفياء ، وعمن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ... أما بعد .

فإن اللغة ظاهرة اجتماعية ، ومرآة تعكس الواقع اللغوي لأصحابها ، وترتبط بالمجتمع ارتباطا وثيقا ، وأي تغير اجتماعي في بيئة من البيئات ينشأ عنه تغيُّر في اللغة المستعملة في تلك البيئة ، والأصل أن يعبر كل لفظ عن معنى معين ، ولكن لما كان شأن الحياة وسننها التطور والتغير ، صاحبته اللغة أيضاً في هذا الصدد ، والدلالات غالباً لا تستقر أو تثبت على حالة واحدة ، بل هي أيضاً في تطور وتغير مستمر طبقا لاختلاف الزمان والمكان والظروف .

ولغتنا العربية واحدة من اللغات التي أصابها التطور الدلالي ، وقد فطن علماؤنا القدامى إلى ذلك منذ زمن بعيد من خلال حسّهم المرهف ، وفكرهم الثاقب ، وأولوها اهتماما خاصا ، يتصف بالدقة والعمق ، بغية الوصول إلى تحديد المعنى والكشف عن جوانبه المختلفة ، وكرّسوا جهودهم في هذا المجال ، وظهر أثر ذلك في معظم مؤلفاتهم ، وزخرت المعجمات العربية بكثير من الألفاظ التي تبحث عن العلاقات الدلالية بين الكلمات .

وابن فارس يعد واحدا من اللغويين الذين أتقنوا اللغة في شتى مجالاتها، وكان إماما – لها – بلا منازع ، ومن ثم آثرت أن تكون دراستي في التطور الدلالي من خلال " مجمل اللغة " ، والذي دفعني لاختيار هذا الموضوع عدة أسباب : هي :

أولاً : أن كتاب " مجمل اللغة " من المعاجم اللغوية المهمة ، حيث

توخي فيه ابن فارس الإيجاز والاختصار والإبانة عما ائتلف من حروف العربية ، فكان حريا بالدراسة جديراً بالمناقشة لدراسة ظاهرة التطور الدلالي فيه .

ثانياً : أردت أن أبين موقف ابن فارس حيال هذه الظاهرة ، وأبرزه على الساحة اللغوية ، لأنه واحد من اللغويين الذين أولوا هذه الظاهرة جانباً كبيراً ، وعقد لها أبواباً خاصة في ثنايا مؤلفاته ، مما كان له أثر كبير فيمن خلفه من اللغويين .

ثالثاً : التمكن من إيجاد القرابة والتشابه بين المعنى الأصلي (القديم) وبين المعنى الجديد ، المستعمل فيه اللفظ ، وما حدث للألفاظ من تطور دلالي ، أو تغير المعنى ، ومدى إمكانية الربط بين ابن فارس ، بمن سبقه ومنْ خلفه في هذا المجال .

وقد جعلت دراستي في مقدمة ، وتمهيد ، وفصول أربعة ، وخاتمة ، وفهارس :

- وضحت في المقدمة : العلاقة بين اللغة والمجتمع ، وأن اللغة ترقى برقيه ، وتضعف بضعفه ، وأن اللغات – جميعها – يصيبها التطور والتغير والعربية واحدة منها ، ثم أشرت إلى الدوافع التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع .
- **أما التمهيد** فقدّمت فيه لابن فارس ... حياته وآثاره : مولده ، وموطنه، ونشأته ، ومذهبه ، وصفاته ، وشيوخه ، وتلاميذه ، أهم نتاجه العلمي ، ووفاته .
- **وكان الفصل الأول** بعنوان " التطور الدلالي ... قضايا واتجاهات " ، وتناولت فيه : العلاقة بين الدلالة والمعنى عند علماء اللغة ، ظاهرة التطور الدلالي واهتمام العلماء بها ، وعرّجت على عوامل

التطور الدلالي ، ثم ألقيت الضوء على مظاهر التطور الدلالي .

- **والفصل الثاني** : تحدثت فيه عن : تخصيص الدلالة ، أو تضييق المعنى، وذكرت نبذة مختصرة عن ذلك ، مستعينا ببعض النماذج أو الأمثلة ، ثم تناولت دراسة الألفاظ التي تندرج تحت هذا اللون من التطور الدلالي في ضوء ما أورده ابن فارس ، ومناقشته مناقشة علمية ، وبينت ما أشار إليه اللغويون في هذا الصدد .
- **أما الفصل الثالث** : فتناولت فيه مظهر " تعميم الدلالة أو توسيعها " ، وصدّرته بكلمة موجزة عن هذا العَرَض ، ونماذج له ، ثم قمت بتحليل وشرح الأمثلة التي نصّ عليها ابن فارس ، واللغويون – معه – كذلك .
- وأخيراً : جاء **الفصل الرابع** بعنوان : " انتقال الدلالة " ، وتحدثت فيه عن المظهر بإيجاز مع أمثلة لذلك ، ثم تناولت الألفاظ التي ساقها ابن فارس مبينا وجهة نظر اللغويين في ذلك .
- الخاتمة : وذكرت فيها أهم النتائج المستخلصة التي توصلت إليها ، وقمت بعمل الفهارس اللازمة .

وبعد ... فلعلي أكون قد ساهمت في وضع لبنة أخرى من لبنات صرح العربية الشامخ ... والله تعالى أسأل العون والسداد ، وأن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، ويثقل به حسناتي ﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ .

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّه عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾

(وَآخِرُ دَعْوَانا أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)

الأستاذ الدكتور

حسن محمد حسن الباجوري

ابن فارس ... حياته وآثاره

هو أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب ، أبو الحسين ، الرازي، القزويني ، المعروف بالرازي ، المالكي، اللغوي ، صاحب " مجمل اللغة ".

وقد ادّعى ابن الجوزي في " المنتظم " أن اسمه : أحمد بن زكريا بن فارس، ولكن هذه التسمية وذلك القول - بحسب تعبير ياقوت في رده على ابن الجوزي - لا يعاجّ به[١] .

مولده وموطنه :

وأما في تاريخ ولادته فلم نجد أيا من كتب التراجم - على كثرة تلك التي ترجمت له - ذكرت أو عينت تاريخا لذلك .

وفي موطنه : ذكر الذهبي أنه ولد بقزوين ونشأ بهمذان ، فهو نزيل همذان وكان أكثر مقامه بالري ، وقد نسب إليها[٢] وذكر ذلك أيضاً ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة [٣].

إلا أن ياقوت ذهب إلى غير ذلك حين قال في معجمه : " وجدت على نسخة قديمة بكتاب (المجمل) من تصنيف ابن فارس ما صورته : تأليف الشيخ أبي الحسين ، أحمد بن فارس بن زكريا الزهراوي ، الأستاذ خرزي، واختلفوا في وطنه ، فقيل : كان من رستاق الزهراء ، من القرية المعروفة

---

(١) المنتظم لابن الجوزي ٤/٢٤٥ - الطبعة الأولى - مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد سنة ١٣٥٨هـ .

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٧/١٠٣ . تحقيق : الأرؤوط محمد بن نعيم العرقسوس - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣م .

(٣) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - ابن تغري بردي ١/ ٤٣٤ - طبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

بكرسفة وجيانا باذ ، وقد حضرت القريتين مزاراً ، ولا خلاف أنه قروي . حدثني والدي محمد بن أحمد ، وكان من جملة حاضري مجالسه ، قال : أتاه آت فسأله عن وطنه ، فقال : كرسف ، قال : فتمثل الشيخ :

بلاد بها شُدّت على تمائمي وأول أرض مس جلدي ترابهـا

وكتبه مجمع بن محمد بن أحمد بخطه ، في شهر ربيع الأول سنة ست وأربعين وأربعمائة "[١].

ولعل كثرة تنقلات أبي الحسين بن فارس في بلاد شتى هو ما جعل هذا الخلاف قائماً في عدم معرفة وطنه الأول على وجه الدقة ، وإن كنا نراه – كما ذكرناه – أولاً من أنه ولد بقزوين ونشأ بهمذان ، وكان أكثر مقامه بالري ، وإلى ذلك ذهبت أكثر كتب التراجم .

نشأته ومذهبه وصفاته :

رغم أنه ولد بقزوين إلا أن ابن فارس كان قد استقر به المقام بعض الشيء في همذان ، وفي ذلك يقول ابن خلكان : " وكان مقيما بهمذان ، وعليه اشتغل بديع الزمان الهمذاني ، صاحب المقامات[٢] " .

وإنه لما اشتهر أمره بهمذان وذاع صيته بها ، استدعى منها إلى بلاط آل بويه بمدينة الري ، ليقرأ عليه أبو طالب بن فخر الدولة على بن ركن الدولة الحسن بن بوية الدَّيْلمي ، فسكنها ، وحصل بهما مالاً ، وبرع ذلك الأمير في الأدب .

وبعد أن استوطن الري كان أن انتقل ابن فارس من مذهب الإمام الشافعي

---

(١) معجم الأدباء – ياقوت الحموي ١/ ٥٣٣ – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م .

(٢) وفيات الأعيان – ابن خلكان ١/ ١٨٨ ، تحقيق د. إحسان عباس – دار الثقافة – بيروت – لبنان .

إلى مذهب الإمام مالك في الفقه ، وذلك في آخر عمره ، وحين سئل عن ذلك أجاب " أخذتني الحمية لهذا الإمام المقبول على جميع الألسنة أن يخلو من مثل هذا البلد عن مذهبه ، فإن الري أجمع البلاد للمقالات والاختلاف " .

وإلى جانب ذلك كان ابن فارس يرى نحو الكوفة وكان يقول: "مارأيت مثل أبي عبد الله أحمد بن طاهر المنجم ولا رأى هو مثل نفسه ".

وعن صفاته الخلقية : يمكن القول : قد غلب على بن فارس صفة الكرم والجود ، لدرجة أن لا يبقى معه شيئا ، وربما سئل فَيَهَب ثياب جسمه وفرش بيته ، وفي ذلك يقول سعد بن علي الزجاجي : " وكان ابن فارس من الأجواد ، حتَى أنه يهب ثيابه وفرش بيته "[1].

شيوخـه :

من أبرز مَنْ تعلّم منهم وأخذ عنهم ابن فارس :

(١) فارس بن زكريا (أبوه) ؛ حيث كان عالما بفنون العلوم ، وروى عنه الأئمة ، وقد مات ببغداد سنة تسع وستين وثلاثمائة ، وكان ابن فارس يحدث عنه ، وكان من ذلك أنه قال : سمعت أبي يقول : حججت فلقيت ناسا من هذيل ، فجاريتهم ذكر شعرائهم ، فما عرفوا أحدا منهم ، ولكني رأيت أمثل الجماعة رجلا فصيحا وأنشدني :

إذا لم تحظ في أرض فدعهـا ... وحث العملات على وجاهـا

ولا يغررك حظ أخيك فيهـا ... إذا صفرت يمينك من جداهـا

ونفسك فز بها إن خفت ضيما ... وخلا لدار تنعي من بكاهـا

فإنك واجـد أرضـا بأرض ... ولست بواجد نفسـا سواها

---

(١) يتيمة الدهر للثعالبي ٣/ ٤٦٣ ، شرح وتحقيق د. مفيد محمد قميحة – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣م .

(٢) أبو الحسن على بن إبراهيم بن سلمة القطان ، الأوحد في العلوم، وقد أكثر ابن فارس من الرواية عنه في كتابه (الصاحبي) ، ونص في مقدمة (المقاييس) أنه قرأ عليه كتاب (العين) المنسوب إلى الخليل .

(٣) وسمع عليٌّ بن محمد بن مهرويه ، وسليمان بن يزيد الفاطمي القزوينيين [١].

(٤) وكان من شيوخه أيضاً : عبد الرحمن الجلاب ، وأحمد بن حميد الهمذانيين ، وأبي الحسن على بن عبد العزيز . صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام ، وقد روى عنه ابن فارس كتابَيْ أبي عبيد : غريب الحديث ، ومصنف الغريب ، كما نص مقدمة معجم المقاييس .

(٥) وكان من شيوخه – كذلك – أبو بكر محمد بن أحمد الأصفهاني ، وعلى بن أحمد الصاوي ، وأبو القاسم سلمان بن أحمد الطبراني ، وعلى بن عمر الصيدناني ، ومما سمعه منه كتاب مكة لأبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي ، بسماعه من عبيد بن محمد بن إبراهيم الكشوري الأزرقي[٢].

تلاميذه :

وصف الذهبي ابن فارس وصفا بليغا بقوله : " وكان رأسا في الأدب ... وتخرج به أئمة " . فمن أشهر هؤلاء الذين تخرجوا به أديب همذان المعروف بديع الزمان الهمذاني ، صاحب المقامات المتقدمة على مقامات الحريري ، وذلك حين كان ابن فارس في همذان ، حتى إن الثعالبي ذكر في ترجمة بديع الزمان ما نصه " ... وقد درس على أبي الحسين بن فارس ، وأخذ عنه جميع ما عنده واستنفد علمه واستنزف بحره[٣] " .

---

(١) مقدمة معجم مقاييس اللغة لابن فارس – تحقيق : عبد السلام هارون .

(٢) الأعلام للزركلي ١/ ١٩٣ – دار العلم للملايين – بيروت – لبنان سنة ١٩٨٦م.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٠٣ .

وكان ممن تتلمذ على ابن فارس أبو طالب فخر الدولة البويهي ، والصاحب إسماعيل بن عباد ، وذلك حين انتقل إلى الرى مقيما بها ، وكان يكرمه ذلك الأخير ويقول : " شيخنا أبو الحسن ممن رُزق حُسْن التصنيف، وأمُن فيه من التصحيف[١] " .

وقد روى عنه أيضاً أبو سهل بن زيرك ، وأبو منصور بن عيسى الصوفي وحمزة بن يوسف السهمي الجرجاني ، والقاضي أبو عبد الله الحسن بن علي الصيرمي ، وأبو منصور بن المحتسب ، والقاضي أبو زرعة روح بن محمد الرازي ، وأبو العباس الغضبان ، والقاضي أبو عبد الله الديباجي ، وعلى بن القاسم الخياط المقري ، وقد قرأ عليه كتابه " أوجز السير لخير البشر[٢] " .

أهم نتاجه العلمي :

١- مجمل اللغة :

اشتهر ابن فارس بإتقانه للغة وذاع صيته بين النابهين من علماء اللغة ، وقد نال (المجمل) شهرة واسعة ، وأهمية قصوى في مجال المعاجم العربية ، فهو لا يقل أهمية عن العين ، والجمهرة ، والصحاح ، يقول ابن خلكان : " كان (ابن فارس) إماما في علوم شتى وخصوصا اللغة ، فإنه أتقنها وألف كتاب " المجمل فيها " ، جمع على اختصاره شيئا كثيراً [٣] " .

وقال سعد بن على الزنجاجي : " كان أبو الحسين بن فارس من أئمة اللغة محتجا به في جميع الجهات غير منازع[٤] " .

---

(١) السابق / ذاته .

(٢) السابق / ذاته .

(٣) وفيات الأعيان ١/ ١١٨ .

(٤) المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ١/ ٩٩ - ١٠٠ .

وأورد الذهبي قول بعضهم : " كان إذا ذكرت اللغة فهو صاحب مجملها ، لا بل صاحبها المجمل لها [١] " .

وعن كتابه (المجمل) هذا فقد اهتم فيه بإيراد كل صحيح وواضح من كلام العرب ، مبتعدا عن الوحشي والمستنكر ، يقول السيوطي بعد أن قام بسرد طائفة من كتب اللغة المشهورة : " قد ذكرنا الواضح من كلام العرب والصحيح منه ، دون الوحشي المستنكر ، ولم نأل في اجتباء المشهور الدّال على غُرَر ، وتفسير حديث ، أو شعر ، والمقصود في كتابنا هذا من أوله إلى آخره التقريب والإبانة عما ائتلف من حروف العربية ... وقال في آخر المجمل : قد توخيت فيه الاختصار ، وآثرت فيه الإيجاز ، واقتصرت على ما صحّ عندي سماعاً ، ومن كتاب صحيح النسب مشهور ، ولولا توخي ما لم أشكك فيه من كلام العرب لوجدت مقالا [٢] " .

٢- مقاييس اللغة :

وصفة ياقوت الحموي بقوله : " وهو كتاب جليل لم يصنف مثله [٣] " وعلى ما يبدو فإن هذا الحكم لابد وأن يكون جراء مطالعه ودراسة جيدة ، إلا أن الملفت للنظر أن أحدًا غير ياقوت لم يذكر هذا الكتاب لابن فارس .

ويقول عنه الشيخ عبد السلام هارون : " على أن ابن فارس في كتابه هذا قد بلغ الحذق باللغة ، وتكنّه أسرارها ، وفهم أصولها ، إذ يرد مفردات كل مادة من مواد اللغة إلى أصولها المعنوية المشتركة ، فلا يكاد يخطئه التوفيق ، وقد انفرد من بين اللغويين بهذا التأليف ، لم يسبقه أحد ، ولم يخلفه أحد " [٤].

---

(١) السابق / ذاته .

(٢) المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ١/ ٩٩ - ١٠٠ .

(٣) معجم الأدباء ١ / ٥٣٣ .

(٤) مقدمة مقاييس اللغة لابن فارس .

٣- كتاب الإتباع والمزاوجة ٤- كتاب متخير الألفاظ ٥- كتاب غريب إعراب القرآن ٦- كتاب تفسير أسماء النبي عليه السلام ٧- كتاب مقدمة نحو ٨- كتاب دارات العرب ٩- كتاب حلية الفقهاء ١٠- كتاب الفرق ١١- مقدمة في الفرائض ١٢- دخائر الكلمات ١٣- شرح رسالة الزهري إلى عبد الملك بن مروان ١٤- كتاب الحجر ١٥- سيرة النبي ﷺ ١٦- كتاب الليل والنهار ١٧- كتاب العم والخال ١٨- كتاب أصول الفقه ١٩- كتاب أخلاق النبي ﷺ ٢٠- الصاحبي ٢١- جامع التأويل في تفسير القرآن (أربع مجلدات) ٢٢- كتاب الشيات والحلي ٢٣- كتاب خلق الإنسان ٢٤- كتاب الحماسة المحدثة ٢٥- كتاب كفاية المتعلمين في اختلاف النحويين ، وغيرها [١].

وفاته :

اختلفت كلمة المؤرخين في وفاة ابن فارس ، فقيل : يبدأ أولها بسنة ستين وثلاثمائة من الهجرة ، وينتهي آخرها بسنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، وهذا القول الأخير هو أصح الأقوال وأرجحها ، وذلك أن أغلب أصحاب التراجم ذهبوا إليه ، بل هناك من حدّده بقوله : " توفى في صفر سنة وتسعين وثلاثمائة "[٢].

بل إن ياقوت ذكر في معجمه أنه عثر على نسخة قديمة من كتاب (المجمل) وكان في آخرها ما صورته : " قضى الشيخ أبو الحسين أحمد بن فارس – رحمه الله – في صفر سنة خمس وتسعين وثلاثمائة بالري ، ودفن بها مقابل مشهد قاضي القضاة أبي الحسن على بن عبد العزيز، يعني

---

(١) هدية العارفين : الباباني (إسماعيل باشا) ١/ ٣٦ – مكتبة المتنبي – بيروت – سنة ١٩٩٥ م .

(٢) وافي الوفيات ٧ / ٢٧٨ .

الجرجاني" [١].

وعن بعض الآراء الأخرى التي أرخت لوفاته قبل ذلك التاريخ ، قال ياقوت بعد أن عرض لاثنين منها : " وكل منهما لا اعتبار به ، لأني وجدت خط كفه على كتاب (الفصيح) تصنيفه ، وقد كتبه في سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة"[٢].

وقد روى أكثر من ترجم له أنه أنشد قبل وفاته بيومين :

يا رب إن ذنوبي قد أحطت بها علما وبى و بإعلاني وإسراري

أنا الموحِّد لكنّي المقرُّ بها فهبْ ذنوبي لتوحيدي وإقراري

رحم الله ابن فارس جزاء ما قدَّم للعربية وعُشاقها تراثاً يستحق الذكر والتمجيد .

---

(١) معجم الأدباء ١/ ٥٣٣ .

(٢) معجم الأدباء ١/ ٥٣٣ .

الفصل الأول
التطور الدلالي قضايا واتجاهات

١- تحرير معنى لفظ (الدلالة) عند اللغويين :

تأتي كلمة (الدلالة) في اللغة بمعنى الهداية والإرشاد والأمارة على الشيء والعلامة ، يقول أبو عبيد في حديث عمر ﷺ : " فينظرون إلى سمته وهَدْيه ودَلّه " ... وقوله : إلى سمته وهَدْيه ودَلّه ، فإن أحدهما قريب المعنى من الآخر ، وهما من السكينة والوقار في الهيئة والمنظر والشمائل وغير ذلك "(١) .

ويقرر ابن فارس أن : " الدال واللام أصلان : أحدهما : إبانة الشيء بأمارة تتعلّمها ... وقولهم : دللت فلانا على الطريق . والدليل : الإمارة على الشيء ، وهو بيّن الدّلالة والدِّلالة " (٢) .

والجوهري يقول : " الدليل : ما يستدل به . والدليل : الدالّ . وقد دلّه على الطريق يدله دَلالة ودِلالة ودُلولـــة " (٣) .

ونقل ابن سيده عن الهروي قوله : " الدَّلُّ والهَدْي قريب بعضه من بعض ، وهما من السكينة وحُسْن المنظر ... ودلّه على الشيء يدله دَلاًّ ودِلالة فاندَلّ : سدّده إليه ... والاسم الدّلالة والدَّلالة والدُّلالولة . والدِّلّيلى . قال سيبويه : الدِّلّيلي: علمه بالدلالة ورسوخه فيها " (٤) .

وفي اللسان : " ودَلّ فلان : إذا هدي ... ودلّه على الشيء يدلّه دلاًّ ودلالة فاندلّ:

---

(١) غريب الحديث لأبي عبيد ٢/ ١٠١ / ١٠٢ .

(٢) مقاييس اللغة (دل) ٢/ ٢٦٠ .

(٣) الصحاح ٤/ ١٦٩٨ .

(٤) المحكم (دلل)٩/ ٢٧٠ ، النهاية في غريب الحديث والأثر ١٣١/٢ ، القاموس المحيط (دلل) ٣/ ٣٨٨ .

سدّده إليه ، ودللته فاندلّ ... والدليل والدليلي : الذي يدلك ... والاسم : الدّلالة والدّلالة – بالكسر والفتح – والدّلولة والدليلي : عمله بالدلالة ورسوخه فيها"[١] .

ولا شك أن الدليل يرشد إلى المطلوب والمقصود ، وهذا ما عبر عنه الشريف الجرجاني بقوله : " الدليل في اللغة : هو المرشد وما به الإرشاد " [٢] ويؤكد ذلك أبو البقاء الكفوي بقوله : " الدليل : المرشد إلى المطلوب ، يُذكر ويُراد به الدّالّ ، ومنه : " يا دليل المتحيِّرين " أي : هاديهم إلى ما تزول به حيرتهم ، ويُذكر ويُراد به العلامة المنصوبة لمعرفة المدلول " [٣] .

ونقل الزبيدي عن الأزهري قوله : " دللت بهذا الطريق دلالة : عرفته ، ودللت به أدُلّ دلالة " [٤] .

ومن ثم : يتضح أن لفظ (الدلالة) بمعناها اللغوي قد يُراد بها الهداية أو الإرشاد أو المعرفة ، أو العلامة ، أو الأمارة على الشيء ، وكلها معانٍ متقاربة يقول أستاذنا الدكتور / محمد حسن جبل معبراً عن ذلك بقوله : " الدلالة على الشيء معناها الهداية . أخذا من قولهم : " دلّه على الطريق وإلى الطريق يدلّه : سدّده إليه " أي : صوّبه وأرشده إليه . والمصدر دلالة ، واسم الفاعل دالٌّ . والدليل: الدّالّ ، والدليل أيضاً : ما يُستدل به ، أي : أن لفظ : الدليل يطلق على الشخص الذي يدل ، وعلى الشيء الذي يستدل به . ولفظ الدال كذلك . وقد يستعمل المصدر (الدلالة) بمعنى اسم الفاعل .

ولارتباط الدلالة – في أصلها أو في كثرة استعمالها – بالطريق ، لأن الطريق يهدي ويوصل إلى المكان المقصود . قالوا : " الدليلة : المحجّة

---

(١) لسان العرب مادة (دلل) .

(٢) التعريفات للشريف الجرجاني ص ١٤٠ .

(٣) الكليات لأبي البقاء الكفوي ص ٤٣٩ .

(٤) تاج العروس مادة (دلل) ١٤/ ٢٤١ .

البيضاء " أي الطريق المستقيم الواضح الأملس[١] " .

هذا ما أشار إليه أصحاب المعجمات العربية وغيرهم من اللغويين في تحرير معنى لفظ (دلالة) الذي فُسر بمعنى الهداية ، فكل منهما غاية وهدف للتوصل إلى المقصود والمرشد إلى المطلوب ، فكذلك لا يمكن الفصل بين الألفاظ ومعانيها لما بينهما من ارتباط وثيق ، وعلاقة وطيدة .

أما " الدلالة " في اصطلاح علماء اللغة فلا تخرج - في جملتها - عما يتوصل به إلى المقصود من ألفاظ ، أو إشارات ، أو رموز ، يقول الراغب الأصفهاني : " الدلالة ما يتوصل به إلى معرفة الشيء ، كدلالة الألفاظ على المعنى ، ودلالة الإشارات ، والرموز المعدة ، والعقود في الحساب ، وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة أو لم يكن بقصد ، كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حيّ " [٢] .

وعرّفها الشريف الجرجاني بقوله : " وهي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر ، والشيء الأول هو الدال ، والثاني هو المدلول ، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص ، وإشارة النص ، ودلالة النص ، واقتضاء النص ، ووجه ضبطه : الحكم المستفاد من النظم، إما أن يكون ثابتا بنفس النظم أولاً :

والأول : إن كان النظم مسوقا له فهو العبارة ، وإلاّ فالإشارة .

والثاني : إن كان الحكم مفهوما من اللفظ لغة فهو الدلالة ، أو شرعا فهو الاقتضاء ، فدلالة النص عبارة عما ثبت بمعنى النص لغة لا اجتهاداً " [٣] .

---

(١) الدلالات القرآنية د. محمد حسن جبل ج١ ص ١٧ – طبعة ١٩٩٨م .

(٢) المفردات للراغب الأصفهاني ص ١٧١ .

(٣) التعريفات للشريف الجرجاني ص ١٣٩ .

ويقول الزبيدي : الدلالة : كون اللفظ متى أطلق فُهِم معناه للعلم بوصفه"[١] وسبقه الفيومي بقوله : " والاسم : الدلالة ، بكسر الدال وفتحها ، وهو ما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه ، واسم الفاعل دالٌ ودليل ، وهو المرشد الكاشف"[٢].

وصنف الجاحظ الدلالات وحصرها في أنواع خمسة بقوله : " وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ ، وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد : أولها : اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال التي تسمى نصْبَة ، والنِّصبة هي الحال الدالة ، التي تقوم مقام تلك الأصناف ، ولا تُقَصِّر عن تلك الدلالات ، ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صور صاحبتها "[٣].

أما الشريف الجرجاني فذهب إلى أن الدلالة اللفظية الوضعية إما أن تكون مطابقة إذا وضع اللفظ مطابقا لما دلّ عليه ، أو على جزئه بالتضمن ، أو على ما يلازمه بقوله : " هي (أي الدلالة) : كون اللفظ بحيث متى أُطلق أو تخيل فُهِم معناه للعلم بوضعه ، وهي المنقسمة إلى المطابقة والتضمن والالتزام ، لأن اللفظ الدال بالوضع يدل على تمام ما وُضع له بالمطابقة ، وعلى جزئه بالتضمن ، وعلى ما يلازمه في الذهن بالالتزام ، كالإنسان فإنه يدلّ على تمام الحيوان الناطق بالمطابقة ، وعلى جزئه بالتضمن ، وعلى قابل العلم بالالتزام " [٤].

وبعد أن عرضنا حقيقة الدلالة ومفهومها عند اللغويين ، وأنواعها ، يمكن أن نجلي تحرير لفظ (المعنى) فنقول :

إن المتأمل والناظر للفظ (الدلالة) ولفظ (المعنى) يجد بينهما قرابة وتشابها

---

(١) تاج العروس مادة (دلل) ١٤/ ٢٤١ .

(٢) المصباح المنير مادة (دلل) ص ١٩٩ .

(٣) البيان والتبيين للجاحظ ١/ ٧٦ .

(٤) التعريفات ص ١٤٠ .

كبيرا ، إلا أن الدلالة قد تكون أعم وأشمل من المعنى ، حيث إن الدلالة تمثل اللفظية أو اللغوية وغيرها ، أما المعنى فيتمثل فيه الدلالة اللفظية أو اللغوية فقط .

وأشار غير واحد من اللغويين أن لفظ (معنى) قد يأتي بمعنى التفسير أو التأويل أو المضمون أو المقصود ، أو أنه صورة ذهنية مقابلة للألفاظ [1] .

(١) ينظر في ذلك : لسان العرب مادة (عنا) ، المصباح مادة (عنا) ، الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ٢٥ ، التعريفات للشريف الجرجاني ص ٢٨١ ، المعنى اللغوي دراسة نظرية تطبيقية د. محمد حسن جبل ص ١٥ .

٢- ظاهرة التطور الدلالي واهتمام العلماء به

تمهيد :

اللغة ظاهرة اجتماعية ، حيث إنها المرآة التي تعكس مظاهر الحياة، وهي أداة التعبير عما في النفس ، ودراسة العلاقة بين اللغة والمجتمع تكفل الكشف عن كثير من الحقائق اللغوية التي لا يمكن تجاهلها ، كما أنها : " ليست أداة صناعية خارجة عن علاقاتها بالمجتمع الذي تعيش فيه ، بل هي صورة له نابضة بالحياة ، فإذا كان المجتمع متخلفا ظهرت آثار التخلف في لغته ، فهي متخلفة معه ، وإذا كان مجتمعا راقياً بدا الرقي في لغته كذلك " (١).

ومن القواعد المقررة عند علماء اللغة أنه يستحيل على مجموعة بشرية تعيش في مساحة أرضية شاسعة أن تصنع في حديثها اليومي لغة موحدة ، تخلو من اختلاف صوتي أو دلالي أو اختلاف في البنية أو التراكيب (٢).

ولذا فإن : " اللغة تحمل في طوايا ألفاظها وعباراتها ملامح حياة الشعب الذي يتكلمها ، ورائحة البيئة التي عاشت فيها – ومن هنا أيضاً – كانت اللغة تراثاً قومياً لأهلها ، ومخصّصاً حضارياً لهم ، ولذلك فإن كل أمة تحس بضرورة دراسة لغتها أعمق الدراسة ، وتنميها أوسع النماء ، لتحسن وتصدق في التعبير عنهم وعن قوميتهم وحضارتهم ، وحياتهم بكل جوانبها " (٣).

ومن سنة الحياة التطور والتغير والانتقال من حال إلى أخرى في

---

(١) علم اللغة بين القديم والحديث د. عبد الغفار هلال ص ١٨١ .

(٢) اللغة والمجتمع د. على عبد الواحد وافي ص ١٠٩ – دار نهضة مصر سنة ١٩١٧م .

(٣) قضايا لغوية د. محمد حسن جبل ص ٣٥ – ٣٦ .

شتى مجالات الحياة ، ومختلف مناحيها ، وليس هذا فحسب ، بل إن الألفاظ – كذلك – قد يعتورها التطور والتغير ، ولو أنها وُجدت على حالها – منذ إنشائها – حتى الآن ، لما بقيت ، وهذا ما لم يحدث ، يقول د. إبراهيم أنيس مؤكداً هذا المعنى : " ولو أنها كذلك لبقيت على حالها جيلا بعد جيل دون تغير أو تحول ، ولكنها وجدت ليتداولها الناس ، وليتبادلوا بها في حياتهم الاجتماعية ، كما يتبادلون بالعُملة والسلع " (١).

وهذا يعني تطورها طبقاً لما يُساير المجتمعات من عصر إلى آخر ، بحيث يتغير معنى الكلمة إلى معني جديد ، أو العكس ، مع علاقة بينهما أو كما يقول استيفن أولمان : " ويظهر التغير في هذه العلاقة في صورتين اثنيتين : فقد يضاف مدلول جديد إلى كلمة قديمة ، أو كلمة جديدة إلى مدلول قديم " (٢).

عناية العلماء بهذه الظاهرة :

ظاهرة التطور الدلالي من الظواهر اللغوية الهامة ، التي لفتت أنظار علمائنا الأوائل ، فحظيت باهتمامهم وعنايتهم ، ولاقت هذه الفكرة قبولاً لديهم .

وليس كل الألفاظ العربية اعتورها التطور والتغير ، بل إن هناك ما أصابه ذلك ، ومنها ما بقي على حاله لم يصبه ذلك ... وفي هذا الصدد نجمل بعض آراءهم فيما يلي :

أولاً : أبو حاتم الرازي (ت٣٢٢هـ)

اهتم أبو حاتم الرازي بظاهرة التطور الدلالي ، وساق أمثلة متباينة لها ، فيقول : " فمنها (أي من معاني الأسماء) قديمة في كلام العرب ، ومنها

---

(١) دلالة الألفاظ د. إبراهيم أنيس ص ١٣٤ .

(٢) دور الكلمة في اللغة – استيفن أولمان ص ١٦٩ .

أسام دلّ عليها النبي (صلى الله عليه وسلم) في هذه الشريعة ، ونزل بها القرآن ، فصارت أصولاً في الدين وفروعاً في الشريعة ، لم تكن تُعرف قبل ذلك ... جاءت في القرآن لم تكن العرب تعرفها ولا غيرهم من الأمم ، مثل: تسنيم ، وسلسبيل ، وغسلين ، وسجين ، والرقيم وغير ذلك .. ومن ألفاظ العرب ولم تكن تُعرف قبل ذلك مثل: المسلم ، والمؤمن ، والمنافق ، والكافر، لم تكن العرب تعرفها ، لأن الإسلام والإيمان والنفاق والكفر ظهر على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وإنما كانت العرب تعرف الكافر كافر نعمة ، لا تعرفه من معنى الكفر بالله .. قال الشاعر :

ولا تحْسَبَنِّي كافراً لَكَ نعْمَةً

.. وكانت تعرف المؤمن من جهة الأمان " [١].

ثانياً : ابن فارس (ت ٣٩٥هـ)

اهتم ابن فارس بظاهرة التطور الدلالي – أيضاً – من خلال أسفاره الجليلة ، وعقد لها ابواباً خاصة كـ (باب الأسماء الإسلامية) [٢] ، و(باب الأسماء التي تسمى بها الأشخاص على المجاورة والسبب) [٣]. و(باب القول في أصول أسماء قيس عليها وألحق بها غيرها) [٤]. وغير ذلك مما امتلأت به بطون مؤلفاته .

ويعد ابن فارس واحداً من اللغويين الذين أولوا هذه الظاهرة جانباً من اهتمامهم بها ، وسوف نوضح موقفه حيال هذه الظاهرة وما يتعلق بها أثناء معالجتنا لها إن شاء الله تعالى .

---

(١) كتاب الزنية في الكلمات الإسلامية لأبي حاتم الرازي ١ / ١٣٤ – ١٤١ .

(٢) الصاحبي لابن فارس ص ٧٨ – ٨٦ .

(٣) السابق ص ١١٠ – ١١١ .

(٤) السابق ص ١١٢ – ١١٣ .

ثالثاً : الإمام السيوطي (٩١١هـ)

نقل الإمام السيوطي عن غير واحد من علماء اللغة اهتمامهم بظاهرة التطور الدلالي فتناول في النوع العشرين : معرفة الألفاظ الإسلامية ، كالمؤمن، والمسلم ، والكافر ، والمنافق ، والصوم ، والحج ، وغير ذلك الكثير والكثير ، ونبّه على أسماء زالت بزوال معانيها، ومنها: (المرباع): ربع الغنيمة الذي كان يأخذه الرئيس في الجاهلية ، و(النشيطة) : ما أصاب الرئيس قبل أن يصير إلى بيضة القوم، (والفضول) ما يفضل من الغنيمة بعد القسمة ، مما لا تقبل قسمته كالخيل ، وكانت مما يخص بها سيد القوم نفسه ، و(الإتاوة) : وهي الخراج ، و(المكس) : وهي دراهم تؤخذ من الباعة أو التجار في السوق في الجاهلية ، وغير ذلك [١].

وفي موضع آخر عقد النوع التاسع والعشرين في معرفة العام والخاص ، وصنّفه خمسة فصول :

الفصل الأول : العام الباقي على عمومه ، وهو : ما وُضع عاماً واستُعمل عاماً .. ومن ذلك : كل ما علاك فأظلك فهو سماء .

الفصل الثاني : وهو ما وضع في الأصل عاماً ، ثم خُص في الاستعمال ببعض أفراده .. ومن ذلك : ما ذكره ابن دريد : أن الحج أصله قصدك الشئ وتجريدك له ، ثم خُص بقصد البيت

الفصل الثالث : ما وُضع في الأصل خاصا ، ثم استعمل عاما .. ومن ذلك قول الأصمعي أصل الوِرْد إتيان الماء ، ثم صار إتيان كل شئ وِرْدا.

الفصل الرابع : ما وُضع عاماً واستعمل خاصا ، ثم أفرد لبعض أفراده اسم يخصه ..ومن ذلك : البُغض عام ، والفَرْك فيما بين الزوجين خاص..

---

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ١ / ٢٩٤ – ٣٠٣ .

الفصل الخامس : ما وُضع خاصا لمعنى خاص .. ومن ذلك قول أبي عبيد : التتابع : التهافت ، ولم نسمعه إلا في الشر ، وأولى له تهديد وعيد[١].

ثالثاً : المحدثون واهتمامهم بهذه الظاهرة .

لم يغفل المحدثون [٢]. هذه الظاهرة ، وكان اهتمامهم بها مقصوداً ،حيث أفرد بعضهم مؤلفات خاصة بذلك ، وتناولها بعضهم في ثنايا مؤلفاتهم ، وإن اختلفت طرقهم ومسالكهم في هذا الشأن .

٣ – عوامل التطور الدلالي :

قد يعترى بعض الألفاظ التطور الدلالي فتنتقل الكلمة من المعنى القديم إلى معنى جديد ، يتبادر إلى الذهن عند إطلاقه ، وفطن العلماء الأوائل والمحدثون كذلك إلى هذا اللون عند المقارنة بين عصر وآخر ، غير أن هذا التطور الدلالي يرجع إلى أسباب وعوامل ، وحصر العلماء ذلك من خلال اتجاهين ذكرهما د. إبراهيم أنيس بقوله : " منها تطور لا شعوري يتم في كل لغة ، وفي كل بيئة ، ثم لا يفطن إليه إلا بعد المقارنة بين عصور اللغة ومنها المقصود المتعمد الذي يقوم به المهرة في صناعة الكلام أو تقوم به المجامع اللغوية لهدف ما أو لآخر . وهذا التطور المقصود المتعمد أقل أثراً في اللغات بوجه عام " [٣].

ويفهم مما ذكره د. إبراهيم أنيس أن اللون الأول هو المقصود – هنا

---

(١) السابق ١ / ٤٢٦ – ٤٤٩ .

(٢) ينظر في ذلك : دلالة الألفاظ د. إبراهيم أنيس ، علم الدلالة د. أحمد مختار عمر ، الدلالات القرآنية د. محمد حسن جبل ، المعنى اللغوي دراسة نظرية وتطبيقية د. محمد حسن جبل، علم الدلالة د. إبراهيم أبو سكين ، في فقه اللغة العربية د. فتحي الدابولي.

(٣) دلالة الألفاظ د. إبراهيم أنيس ص ١٣٤ .

– ويمكن مرد عوامل التطور الدلالي فيه إلى عدة أسباب وعوامل ، نجمل أهمها على النحو التالي :

١ – تطور أصوات الكلمة :

قد يعتري بعض أصوات الكلمة التطور ، ومن خلال ذلك يتغير المدلول ، ومن أمثلة ذلك : ما وقع للفظ (قماش) العربية المشابهة للفظ (كماش) الفارسية ، يقول بعض اللغويين : " فإن كلمة (كماش) الفارسية، بمعنى : نسيج من قطن خشن ، قد تطورت فيها الكاف فأصبحت قافاً ، فشابهت الكلمة العربية (قماش) بمعنى : أراذل الناس ، وما وقع على الأرض من فتات الأشياء ، ومتاع البيت ، فأصبحت هذه الكلمة العربية ذات دلالة جديدة على المنسوجات [١].

ويؤكد د. إبراهيم أنيس التطور الدلالي في لفظ (قماش) بمعنى النسيج بقوله : " وأيا ما كانت دلالة هذه الكلمة على حسب ما جاء في المعاجم العربية القديمة ، لا ندري كيف تطورت تلك الدلالة حتى صارت على النحو المألوف لنا الآن ؟ وإذا صح ما يرويه بعض الدارسين للألفاظ الدخيلة من أن هذه الكلمة مأخوذة من كلمة فارسية هي (كماش) بمعنى: نسيج من قطن خشن ، تكون الكلمة العربية الأصلية قد نطقت قافها (جافا أو كافا) لسبب آخر ، فأشبهت الكلمة الفارسية وانصرفت دلالتها إلى الدلالة الفارسية بمعنى النسيج [٢].

وكما في كلمة " الثورة " قد يساء فهمها ، ويأخذها السامع على أنها "

---

(١) ينظر : التطور اللغوي . مظاهره وعلله وقوانينه د. رمضان عبد التواب ص ١١٢ – ١١٣ ، علم اللغة بين القديم والحديث ص ١١٧ ، في فقه اللغة العربية د. فتحي الدابولي ص ١٦٠، دراسات في الدلالة والمعجم د. رجب عبد الجواد إبراهيم ص ٩١.

(٢) دلالة الألفاظ د. إبراهيم أنيس ص ١٣٩ .

الثروة " ثم لا تتاح للسامع فرصة أخرى لتصحيح خطئه ، ويبقى اللفظ في ذهنه مرتبطا بالدلالة الجديدة " (١).

ولذا فإن تطور بعض أصوات الكلمة قد يؤدي إلى تطور معناها أيضاً من حيث تحول معنى الكلمة الأصلي إلى معنى جديد يشيع استعماله فيما بعد .

٢ – دوران الكلمة وكثرة الاستعمال :

قد يكون دوران الكلمة وشيوع استعمالها بين الناطقين بها سبباً في حدوث التطور الدلالي ، يقول بعض اللغويين : " وكثرة استخدام اللفظ يجعله عرضة لتخصيص معناه وتحديده . ومن ذلك : الألفاظ الشريعية المتعلقة بالعقائد أو الشعائر ، أو النظم الدينية ، كالصلاة ، والصيام ، والحج ، والزكاة ، والمؤمن، والكافر ، والمنافق ... وقد تؤدي كثرة استخدام الكلمة إلى تعميم معناها الخاص: ومن ذلك لفظ (البأس) وهو خاص في الأصل بالحرب ، ثم كثر استخدامه في كل شدة . كما تؤدي كثرة استخدام الكلمة إلى انقراض معناها الحقيقي وحلول المعنى المجازي مكانه ، فمن ذلك لفظ (الوغي) كما يدل في الأصل على اختلاط الأصوات في الحرب ، ثم أطلق مجازاً على الحرب نفسها ، ثم كثر استعماله في المعنى المجازي حتى انقرض المعنى الحقيقي " (٢).

ومما كثر استعماله لفظ " المجد " : " معناها في الأصل : امتلاء بطن الدابة من العلف ، ثم كثر استخدامه مجازاً في الامتلاء بالكرم ، ثم انقرض المعنى الأصلي وشاع هذه المعنى ، وكذا انتقل معنى : " الأفن "

---

(١) علم الدلالة دراسة وتطبيقا د. نور الهدى لوشن ص ٥٥ .

(٢) ينظر : التطور الدلالي د. رمضان عبد التواب ص ١١٣ في فقه اللغة العربي د. فتحي الدابولي ص ١٥٧ – ١٥٨ ، علم الدلالة دراسة وتطبيقا د. نور الهدى لوشن . ص ٥٥ .

من قلة لبن الناقة ، إلى نقص العقل " . [١].

وهكذا فإن دوران الكلمة وكثرة استعمالها كان سببًا هامًا في حدوث التطور الدلالي .

٣ – الاستعمال المجازي :

من المقرر والمعلوم أن اللفظ إذا استعمل فيما وضع له أصلاً فهو حقيقة ، وإذا استعمل في غير ما وضع له مع علاقة فهو مجاز مرسل أو استعارة ، والاستعمال المجازي شائع في التطور الدلالي ، ولسنا بصدد الحديث عن خروج الحقيقة إلى المجاز من الناحية البلاغية ، يقول أحد اللغويين : " ولكننا ننظر إلى ما يسمى بالحقيقة والمجاز على أنه مظهر للتطور الدلالي في كل لغة من اللغات " [٢].

ويقرر أيضاً أن : " اللفظ قد يشيع استعماله في جيل من الأجيال للدلالة على أمر معين ، وكلما ذكر اللفظ خطرت نفس الدلالة في الأذهان دون غرابة أو دهشة ، وهو من أجل هذا مما يسمى بالحقيقة . فإذا انحرف به الاستعمال في مجال آخر فأثار في الذهن غرابة أو طرافة قيل حينئذ : إنه من المجاز . وتلزمه تلك الغرابة أو الطرافة في الاستعمال زمنا ما بعده قد يفقدها ، ويصبح من الألفة والذيوع بحيث تنسى مجازيته ويصير من الحقيقة " [٣].

٤ – الابتذال :

يعد الابتذال عاملا هاما من عوامل التطور الدلالي نتيجة لتغير بعض الظروف المعيشية ، فيشيع استعمالها بانحطاط دلالتها بعد أن كانت تطلق

---

(١) علم اللغة د. علي عبد الواحد وافي ص ٣٢١ – ٣٢٢ ، ٣٣٦ .

(٢) دلالة الألفاظ د. إبراهيم أنيس ص ١٢٨ .

(٣) السابق ص ١٣٠ .

على معنى أرفع ، ومن ذلك : كلمات " باشا ، بك ، أفندي " وغيرها من ألقاب تركية مرت بها تطورات في دلالتها ، وانحط قدرها على توالي الأيام، وكلمة (أفندي) في آخر عهدها ذات قدر تافه ، وأصبحت أقل الرتب بعد أن كان لها خلال القرن التاسع عشر مركز هام ومكان مرموق .. ومثل هذا يمكن أن يقال عن كلمة (الحاجب) التي كانت تعني في الدولة الأندلسية (رئيس الوزراء)، ثم صارت على النحو المألوف الآن[١]. بمعنى العامل الذي يتولى خدمة القائد أو السياسي أو صاحب منصب كبير ، أو " تطلق الآن على عامل بسيط ، يجلس على باب أحد كبار الموظفين " [٢].

وأحياناً تأتي ظروف يكون مردها ابتذال المدلولات وتطورها " كأن يكون اللفظ قبيحا ، فيستبدل بمدلول مستساغ يقبله الذوق .. ومن ذلك وجود كلمتين عربيتين ، وشيوع إحداهما عن الأخرى " كالمدة والصديد " فقد انزوت الكلمة الأولى ، وشاعت الثانية " [٣].

٥- سوء الفهم :

قد يحدث تغير فجائي – بسبب سوء الفهم – في تطور دلالة لفظ ما عن طريق القياس الخاطئ ، ثم يتوارثه جيل بعد آخر فيشيع استعماله ، يقول د. إبراهيم أنيس في هذا الصدد : " وليس سوء الفهم في الحقيقة إلا نتيجة تلك العملية الذهنية الذي يسمى بالقياس الخاطئ ، والتي تلازم كلامنا في مراحل الحياة ، فقد تتم بين الأطفال ، كما تتم بين الكبار... فيقيس ما لم يعرف على ما عُرف من قبل ، ويستنبط على أساس هذا القياس ، فيصيب في استنباطه

---

(١) السابق ص ١٤٠ .

(٢) من قضايا فقه اللسان د. الموافي الرفاعي البيلي ص ٢٦ ، التطور اللغوي د. رمضان عبد التواب ص ١١٤ .

(٣) دلالة الألفاظ ص ١٤١، في فقه اللغة العربية د. فتحي الدابولي ص١٦١ .

حينا ، ويصل إلى الدلالة الصحيحة ويخطئ حينا آخر فيستخرج دلالة جديدة ، قد تصادف الشيوع والذيوع بين الناس " [١].

ومن أمثلة ذلك : لفظ (الأرض) يعرف بالكوكب المعروف ، ويأتي بمعنى : الزكام " [٢]. وفي الحقيقة : لا نجد صلة في الدلالة بينهما ، ولا يمكن أن يفسر هذا تفسيراً صحيحاً ، إلا على أساس القياس الخاطئ ، وكذلك لفظ (عتيد) التي تطوّر معناها إلى (عتيق) أو (عنيد) [٣].

٦- الحالة النفسية أو العاطفية :

للحالة النفسية أو العاطفية أثر وصدى في تغيز مدلولات بعض الألفاظ، حيث تكتسب دلالات جديدة ، يشيع استعمالها في غير مجالها الأصلي ، حيث " يلجأ المتكلم نتيجة لتفاؤله أو لتشاؤمه إلى استخدام اللفظ في ضد معناه ، كما سميت الصحراء مفازة ، تفاؤلاً بالنجاة من المخاطر التي تعترض سالكها ، وكما سمى الأعمى بصيراً ، عزاء لحالته التي تؤلم النفس وأملا في أن يعوّضه الله نورا في بصيرته " [٤].

ومن ثم فإن الحالة النفسية التي يكون عليها الإنسان قد تنعكس على لغته . فتكون سببها في تطور بعض ألفاظ ، كالتي تتصل بالنجاسة والقذارة ونحوهما ، مما يأباه الذوق الاجتماعي ، ويرفضه العُرف يقول د. إبراهيم أنيس في هذا الشأن : " ومن الألفاظ الدائمة التطور والتغير في دلالتها تلك التي تشير إلى التّبوّل والتبرُّز ، فلا يكاد اللفظ منها يشيع

---

(١) دالة الألفاظ ص ١٣٧.

(٢) القاموس المحيط مادة (أرض).

(٣) دلالة الألفاظ ص ١٣٨ ، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه ص ١١٢ ، في فقه اللغة العربية د. فتحي الدابولي ص ١٥٩٠ .

(٤) علم اللغة بين القديم والحديث د. عبد الغفار هلال ص ٢٢٥ .

حتى يمجه الذوق الاجتماعي وتأباه الآداب العامة ، فيُستعاض عنه بآخر من نفس اللغة ، أو من لغة أجنبية : ومن ذلك : الكرسي ، المستراح (بيت الراحة)، بيت الأدب ، المرحاض ، الكابنيه (كلمة أوربية) [١].

كما أن هناك ألفاظاً تطورت دلالتها بعد الإسلام يستحي من التلفظ بأسمائها ، ومن ثم عُدل عنها إلى غيرها عن طريق المجاز ، واستبدلت الكناية بصريح القول ، مثل : القبل والدبر ، لمس امرأته ، قضى حاجته: ... الخ ، كما في قوله تعالى : ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ [١] ، قوله : ﴿ مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾ [٣]. وهو كناية عن الدخول ، وقوله : ﴿ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء ﴾ [٤] كناية عن الجماع ، وكذلك كلمة (النكاح) التي لم تكن تعني سوى الزواج ، ثم ارتبطت في أذهان العامة بالعملية الجنسية ارتباطاً وثيقاً ، وقد كانت لا تستعمل فيها إلا عن طريق الكناية المقبولة لدى العرب القدماء [٥].

ونخلص من ذلك : أن الناحية النفسية أو العاطفية قد يكون لهما دور كبير في التطور الدلالي لبعض الألفاظ ، حيث تكون دلالات جديدة تملأ النفس سكينة وهدوءا واطمئنانا . وهذه هي أهم عوامل التطور الدلالي .

٤- مظاهر التطور الدلالي :

بعد أن تعرضنا لعوامل التطور الدلالي وأسباب نشأته ، تجدر الإشارة – هنا- إلى توضيح مظاهر التطور الدلالي ، وهي تغيرات

---

(١) دلالة الألفاظ ص ١٤١ – ١٤٢ .

(٢) من الآية (٢٢٣) من سورة (البقرة).

(٣) من الآية (٢٣) من سورة (النساء) .

(٤) من الآية (٦) من سورة (المائدة).

(٥) دلالة الألفاظ ص ١٤٢ .

تصيب المعنى، وتوصلنا إلى ذلك من خلال المقارنة التي تتم بين المعنى القديم الأصلي ، وبين المعنى الجديد ، المتبادر إلى الذهن عند إطلاقه ، ويقصد بهذه المظاهر " تلك الأشكال المتنوعة التي يتضح فيها التغير الذي يصيب المعنى كَمًّا وكيْفًا ، ولا يتضح هذا المظهر أو ذاك إلا بالمقارنة بين المعنى القديم والمعنى الجديد ، وقد يطلق على هذه المظاهر مصطلح (الأعراض) أو (القوانين) [١].

ونجلي أهم مظاهر التطور الدلالي كما أشار إلى ذلك أو ما شابه ذلك غير واحد من اللغويين [٢] ، على النحو التالي :

أولاً : تخصيص المعنى : وهو تحويل المدلول العام للفظة ما إلى مدلول خاص .

ثانياً: تعميم الدلالة: وفيه يكون مجال استعمال الكلمة أوسع من سابقه.

ثالثاً : انتقال الدلالة : أي : نقل المعنى إلى معنى آخر ، مغاير لمعناه القديم ، مع وجود علاقة بينهما تسوغ الانتقال بين المعنيين .

وقد جمع فندريس الأغراض السابقة بقوله : " فهناك تضييق عند الخروج من معنى عام إلى معنى خاص ... وهناك اتساع في الحالة العكسية، أي عند الخروج من معنى خاص إلى معنى عام ... وهناك انتقال عندما يتعادل المعنيان ، أو إذا كانا لا يختلفان من جهة العموم والخصوص

---

(١) في الدلالة اللغوية د. عبد الفتاح البركاوي ص ١١٢ .

(٢) ينظر : دلالة الألفاظ ص ١٥٢ – ١٦٧ ، دور الكلمة في اللغة ص ١٧٩ – ٢٠٧ ، من قضايا فقه اللسان – مقدمة وبحوث في علم الدلالة العربي ص ٢٨ – ٣٤ ، علم الدلالة د. أحمد مختار عمر ص ٢٤٣ – ٢٥٠ ، الدلالة اللغوية عند العرب د. عبد الكريم مجاهد ص ١٤١ – ١٤٤ ، في فقه اللغة العربي د. فتحي الدابولي ص ١٥٣ – ١٥٦ ، التطور اللغوي د. رمضان عبد التواب ص ١١٤ – ١١٩ .

(كما في حالة انتقال الكلمة من المحل إلى الحال أو من السبب إلى المسبب) أو من العلامة الدالة إلى الشئ المدلول عليه ، أو العكس ، ولسنا في حاجة إلى القول بأن الاتساع والتضييق ينشآن من الانتقال في أغلب الأحيان ، وأن انتقال المعنى يتضمن طرائق شتى يطلق عليها النحاة أسماء اصطلاحية (المجاز المرسل والاستعارة) [١].

هذه هي أهم الركائز الأساسية التي بني عليها اللغويون أهم مظاهر التطور الدلالي ، غير أن بعضهم أضاف مظهرين آخرين للتطور الدلالي ، ويتمثلان فيما يلي :

أ- انحطاط الدلالة :

قد تصاب بعض الألفاظ بتغير المعنى وتطور دلالته ، وهي في الأصل موضع تقدير وعلو ورفعة ، ثم - في استعمالها - يصيبها الانهيار والضعف ، ويكثر تداولها وذيوعها فتستعمل في معنى أضعف ، بل أقل من سابقه " ككلمة (القتل والقتال) تستعمل في الشجار حتى مع ضعف شأنه ونتائجه وكذلك كلمة (الكرسي) استعملت في القرآن الكريم بمعنى العرش في قوله تعالى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾ [٢] ، غير أن هذه الكلمة أصبحت الآن تطلق على كرسي السفرة وكرسي المطبخ[٣]. والكرسي الذي يجلس عليه ، وما إلى ذلك .

ب- رقي الدلالة ورفعتها :

هذا المظهر عكس سابقه ، حيث يتمثل في نقل المعنى الضعيف إلى معنى جديد قوي راق ، فيشيع استعماله فيما بعد ، ومن ذلك ما أورده

---

(١) اللغة - فندريس - ص ٢٥٦ ، التطور اللغوي د. رمضان عبد التواب ص ١١٤ - ١١٥ .

(٢) من الآية ٢٥٥ من سورة (البقرة) .

(٣) دلالة الألفاظ ص ١٥٦ - ١٥٧ .

بعض اللغويين بقوله : " في لغتنا العربية أتى على الكلمتين (ملاك ورسول) عهد كانتا فيه بمعنى : الشخص الذي يرسله المرء في مهمة مهما كان شأنها ، ثم تطورتا ، وأصبح لها تلك الدلالة السامية التي نألفها الآن . وكانت كلمة (السفرة) تعنى في الأساليب القديمة طعام المسافر ، وهي على ألسنة تجار الأثاث ذات شأن " (١).

ونجلي في السطور التالية مزيداً من الإيضاح من نماذج لأمثلة تخصيص الدلالة في ضوء ما ذكره ابن فارس من خلال سفره الجليل (مجمل اللغة) ونبرز موقفه حيال هذه الظاهرة .

---

(١) السابق ص ١٥٨ ، علم الدلالة د. أحمد مختار عمر ص ٢٤٨ – ٢٤٩ .

الفصل الثاني : تخصيص الدلالة

يقصد بتخصيص الدلالة انتقال تطور دلالة اللفظ من العموم إلى الخصوص ، أو تضييق دائرة المعنى ، أو : تحديد الدلالة وضيق مجالها حتى أصبح اللفظ جزئياً في استعماله ، فذاع وانتشر بين الناطقين به ، " فإذا قدر لمثل هذا الاستعمال في الدلالة أن يشيع ويذيع بين جمهور الناس رأينا اللفظ تتطور دلالته من العموم إلى الخصوص ، ويضيق مجالها ، وتقتصر على ناحية منها ، وذلك هو العرض الذي نسميه بتخصيص الدلالة ، وهو الذي يصيب كثيراً من ألفاظ اللغات في العالم"(١).

ويقرر ذلك بعض اللغويين بقوله : " تلك الحالة التي يطلق فيها الاسم العام على طائفة خاصة ، تمثل نوعها خير تمثيل في نظر المتكلم " (٢).

ومن أمثلة هذا اللون من التطور الدلالي :

*** تخصيص ألفاظ (المؤمن ، والمسلم ، والصلاة ، والحج) بعد الإسلام (٣).

*** لفظ (الخليفة) للدلالة على الشخص الذي يقوم بأمور الدولة بمختلف مناحيها : الدينية والسياسية والحربية وغيرها ، بعد أن كانت تطلق على كل مَنْ خلف شخصا لآخر .

*** تخصيص كلمة (الطهارة) ، وصارت تطلق على معنى (الختان)، ولفظ (الحريم) تخصص معناها ، فبعد أن كانت تطلق على كل محرم لا يمس ، أصبحت الآن تطلق على النساء (٤).

---

(١) دلالة الألفاظ ص ١٥٤ .

(٢) اللغة لفندريس ص ٢٥٧ ، التطور اللغوي ص ١١٥ – ١١٦ .

(٣) علم اللغة بين القديم والحديث ص ٢١٣ .

(٤) دلالة الألفاظ ص ١٥٤ .

استعمال كلمة (صينية) بمعناها المعروف الآن ، وكانت تطلق على كل ما يرد من بلاد الصين [١].

*** لفظ (الخوارج) : كانت – في الأصل – تطلق على كل من خرج على سلطان ، أو رَأَى رَأْيًا مخالفا ، ثم تخصّصت الدلالة ، فأصبحت تنحصر فيمن خرج على الإمام (عليّ) ، ثم صار يطلق عَلَمًا على حزب سياسي معروف في تاريخ الدولة الإسلامية .

وليس هذا اللون مقصوراً على العربية وحدها ، وإنما تعدّاه إلى غيرها من اللغات ، ومن ذلك : في الإنجليزية أن كلمة Corpse كانت تستعمل أولاً استعمالاً مطابقاً لاستعمال أصلها اللاتيني وهو كلمة Cropus فكانت تدل على الجسم إنسانياً كان أو غير إنساني ، حياً أو ميتاً ، ولكن معناها ضيق وخصص ، فأصبحت الآن لا تدل إلا على جثة الإنسان الميت " [٢].

وفيما يلي عرض لما قدمه ابن فارس من نماذج لهذا اللون من التطور الدلالي من خلال (مجمل اللغة) .

(١) التطور اللغوي . د/ رمضان عبد التواب . ص ١١٦ .

(٢) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي د. محمود السعران ص ٢٣١ .

أمم (= الأم)

يقول ابن فارس : " الأم معروفة ، وأصل كل شيء أم [١] " .

في النص السابق إشارة إلى تطور لفظ (الأم) ، وقرر ابن فارس أن معنى الأصل للفظ أم هو أصل كل شيء ، فأصل كل شيء يسمى أما (كأم الكتاب ، وهي فاتحته التي يُبدأ بها) و (أم القرى مكة) و(كل مدينة هي أمّ ما حولها من القرى[٢]) ، واللفظ المتطور عبر عنه ابن فارس بقوله : " والأم معروفة " ، ولم يفسره لوضوحه وجلائه ، ويراد به : الأم الوالدة القريبة التي ولدت ، أو البعيدة التي ولدت من ولدته .

وفي بيان معنى أصل لفظ (أم) يؤكد ابن سيده أن : " أم كل شيء : أصله وعماده [٣] " ، ويقول الهروي عند تعليقه على قوله تعالى: ﴿ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾[٤] ، أي : أصل الكتاب ، وهو الذي عند الله ﷻ ، وقوله ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾[٥] أي : مسكنه النار ، وسميت جهنم أما ، لأن الكافر يأوي إليها ، فهي له كالأم ، أي كالأصل "[٦].

وهذا ما أشار إليه أبو البقاء الكفوي بقوله : " وأم كل شيء أصله . قال الخليل : كل شيء ، ضم إليه ما يليه يسمى أما ، قال ابن عرفة : ولهذا سميت أم القرآن وأم الكتاب ، وقال الأخفش كل شيء انضم إليه أشياء فهو

---

(١) مجمل اللغة (أمم) ١/ ٨١ ، وقارن بالمقاييس (أمم) ١/ ٢٢ – ٢٣ .

(٢) مقاييس اللغة ١/ ٢٢ – ٢٣ ، الكليات لأبي البقاء الكفوي ص ١٧٦ .

(٣) المحكم لابن سيده مادة (أمم) ١٠/ ٥٧٦ .

(٤) من الآية (٣٩) من سورة (الرعد) .

(٥) من الآية (٩) من سورة (القارعة) .

(٦) الغريبين في القرآن والحديث للهروي ١/ ١٠٤ .

أم لها ، ولذلك سمي رئيس القوم أُمّا لهم " [١] .

والمعنى اللغوي لتركيب (أمم) يدل على كل ما كان أصلا لوجود شيئ، أو انضمت إليه أشياء أخرى فهو أمٌ ، ثم خصصت الدلالة ، فاصبح يطلق على الأمم بمعنى الوالدة ، وهذا ما أكده ابن دريد بقوله : " والأم معروفة (الوالدة) ... قال أبو عثمان الأشناندانى : سمعت الأخفش يقول : كل شيء انضمت إليه أشياء فهو أم ، و(أم الرأس) : الجلدة التي تجمع الدماغ "[٢].

ويقرر الجوهري المعنى السابق بقوله : " أم الشيء : أصله ، ومكة : أم القرى . والأم : الوالدة[٣] " ، وقال الراغب : " الأم : بإزاء الأب : وهي الوالدة القريبة التي ولدته ، والبعيدة التي ولدت من ولدته . ويقال لكل ما كان أصلا لوجود شيء أو تربيته أو إصلاحه أو مبدئه أم . قال الخليل : كل شيء ضمّ إليه سائر ما يليه يسمى أما "[٤] ، وفي المصباح : " وأم الدماغ : الجلدة التي تجمعه ، وأم الشيء: أصله ، والأم : الوالدة "[٥] .

ويبدو أن مرد التطور – هنا – هو الاستعمال المجازي لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي للأم (وهو أصل كل شيء) وبين ما استعمل فيه اللفظ الآن (الأم : الوالدة) وطريق التطور هنا هو التخصيص ، وهو ما آلت إليه دلالة هذا اللفظ .

---

(١) الكليات ص ١٧٦ .

(٢) جمهرة اللغة لابن دريد (أمم) ١/ ٢٠ – ٢١ .

(٣) تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (أمم) ٥/ ١٨٦٣ .

(٤) المفردات للراغب الأصفهاني ص ٢٦ – ٢٧ ، واللسان مادة (أمم) .

(٥) المصباح المنير مادة (أمم) ص ٢٣ .

بلو (= الابتلاء)

يقول ابن فارس : " والابتلاء الاختبار ، يكون بالخير والشر ، يقال : أبلاه الله بلاء حسنا "[١] .

يفهم من الفقرة السابقة أن ابن فارس قد صرح بمعنى أصل الابتلاء وهو الاختبار أو الامتحان ، ويستعمل في الخير والشر على السواء ، فيقال : أبلاه الله بلاءً حسنا ، كما يقال : أبلاه بلاء سيئا[٢] . ولم يشر إلى اللفظ المتطور ، وهو تخصيص اللفظ بالدلالة على المكروه والشدة كما سيأتي بعد .

ووافقه من أصحاب المعجمات العربية الجوهري بقوله : " والتبالي : الاختبار .... والبلاء : الاختبار ، ويكون بالخير والشر "[٣] ، وهذا ما نبه عليه الراغب بقوله : " وبلوته : اختبرته[٤] " ، وقال ابن الأثير : " والابتلاء في الأصل : الاختبار والامتحان [٥] " .

وأكد الهروي ذلك عند تعليقه على قوله تعالى : ﴿ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً ﴾[٦] . " وقال أبو الهيثم : البلاء يكون حسنا ويكون سيئا ، وأصله المحنة ، والله ﷻ يبلو عبده بالصنع الجميل ، ليمتحن شكره ، ويبلوه بالبلوى التي يكرهها ، ليمتحن صبره ، فقيل للحسن : بلاء ، وللسيِّئ : بلاء [٧] " ، وأشار إلى الأصل أيضاً أبو البقاء الكفوي بقوله : " الابتلاء يكون في الخير

---

(١) مجمل اللغة ١/ ١٣٣ .

(٢) المقاييس ١/ ٢٩٢ - ٢٩٣ .

(٣) الصحاح للجوهري ٦/ ٢٢٨٥ .

(٤) المفردات للراغب ص ٧٩ .

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ١٥٥ ، اللسان مادة (بلا) ، المصباح مادة (بلى) ص٦٢ .

(٦) من الآية (١٧) من سورة (الأنفال) .

(٧) الغريبين في القرآن والحديث ١/ ٢١٤ - ٢١٥ .

والشر معاً [١] " .

واقتصر ابن فارس على معنى أصل البلاء (الاختبار بالخير أو الشر) ، ولم يصرح بالتطور والتغير الذي ذكره أبو حيان بقوله : " البلاء : الاختبار ... ثم صار يطلق على المكروه والشدة ، يقال : أصاب فلانا بلاء : أي شدة"[٢] .

وعزز ذلك ابن الهائم عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾[٣] : وقيل : البلاء في الأصل الاختبار ، بلاه يبلوه بلاء ، ثم صار يطلق على المكروه والشدة "[٤].

من خلال ما سبق يمكن القول : إن البلاء بمعنى الاختبار بخير أو شر ، وهذا ما أشار إليه ابن فارس ، وتبعه في ذلك بعض علماء اللغة ، ثم خُصص المعنى وضيق فيه وحدد ، فأصبح يطلق على المكروه والشدة ، أما القرآن الكريم فقد جمع بين الاستعمالين معاً ، يقول الرازي في هذا الشأن : " وفي قوله ﴿ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾[٥]. قال القفال : أصل الكلمة من الابتلاء ، وهو الاختبار والامتحان ، قال تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم بالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾[٦]، وقال: ﴿ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ﴾[٧] ، والبلوى واقعة على النوعين ، فيقال للنعمة: بلاء ، وللمحنة الشديدة : بلاء ، والأكثر أن يقال في الخير : (بلاء) وفي الشر : بلاء ، وقد يدخل أحدهما على الآخر ، قال زهير :

جزى الله بالإحسان ما فعلا بكم وأبلاهما خير البلاء الذي يبلو

---

(١) الكليـات ص ٣٤ .

(٢) البحر المحيط ١/ ٣٠٥ .

(٣) من الآية (٤٩) من سورة (البقرة) .

(٤) التبيان لابن الهائم ص ٨٥ .

(٥) من الآية (٤٩) من سورة (البقرة) .

(٦) من الآية (٣٥) من سورة (الأنبياء) .

(٧) من الآية (٦٨) من سورة (الأعراف) .

إذا عرفت هذا فنقول : البلاء ههنا هو المحنة ، إن أشير بلفظ (ذلكم) إلى صنع فرعون ، والنعمة إن أشير به إلى الإنجاء [١] " .

وصفوة القول : أن ابن فارس أشار إلى معنى أصل (البلاء) ، وهو الاختبار والامتحان بالخير والشر معاً ، دون أن يشير إلى اللفظ الذي اعتراه التطور وهو استعماله في المكروه والشدة ، ومرد التطور - هنا - هو الاستعمال المجازي لعلاقة المشابهة بين معنى الأصل (الاختبار والامتحان بالخير والشر معا) وبين ما استعمل فيه (المكروه والشدة) ، وهو ما آلت إليه دلالة هذا اللفظ .

حجج (= الحج)

يقول ابن فارس : " الحج : القصد ، وكل قصد حج ... ثم اختص بهذا الاسم القصد إلى بيت الله الحرام للنسك " [٢] .

أشار ابن فارس إشارة واضحة جلية إلى التطور والتغير الذي اعترض لفظ (الحج) حيث ذكر معنى الأصل : وهو القصد المطلق إلى كل شيء ، ثم تعورف استعماله - عندما يتبادر إلى الذهن - إلى قصد بيت الله الحرام في مكة في أوقات معلومة .

ويكاد يتفق أئمة اللغة في بيان معنى الأصل واللفظ المتطور الذي اعتراه التطور ، يقول ابن دريد : " والحج قصدك الشيء وتجريدك له ، ثم سُمي قصد البيت حجًّا"[٣] ، ويقول الجوهري : " الحج : القصد . ورجل محجوج ، أي مقصود وقد حجّ بنو فلان فلانا : إذا أطالوا الاختلاف إليه. قال المُخبَّل:

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي ٣/ ٦٦ .

(٢) مجمل اللغة لابن فارس (حجج) ١/ ٢٢١ .

(٣) جمهرة اللغة لابن دريد (حجج) ٣/ ٤٣٣ - ٤٣٤ .

وأشهد من عَوْف حلـولاً كثيرة يحجّون سِبَّ الزبرقان المُزَعْفَرا

قال ابن السكيت : يقول : يكثرون الاختلاف إليه ، هذا هو الأصل ، ثم تعورف استعماله في القصد إلى مكة للنسك "[١] ، وتعبير الجوهري : " يكثرون الاختلاف إليه " يعنى العودة إليه مرة بعد أخرى ، أو يذهب هذا ويجيء هذا .

وهذا ما قرره ابن سيده أيضاً بقوله : " وحجّه يحجّه حجًّا : قصده ، والحج : القصد للتوجه إلى البيت بالأعمال المشروعة فرضًا وسنة . وأصله من ذلك"[٢] ، وقال الراغب الأصفهاني : " أصل الحج : القصد للزيادة ... خص في تعارف الشرع بقصد بيت الله الحرام ، إقامة للنسك "[٣] ويلاحظ على الراغب أنه قيّد القصد بالزيارة ، وليس الأمر كذلك ، فالمعنى اللغوي هو القصد المطلق ، سواء أكان ذلك على جهة الزيارة أو غيرها .

كما أشار ابن الأثير إلى التطور في لفظ " الحج " قائلا : " الحج في اللغة: القصد إلى كل شيء ، فخصه الشرع بقصد معين ، ذي شروط معلومة" [٤] .

وجاء في اللسان : " الحج : القصد ... وحجّه يحجّه حجًّا : قصده ... ثم تعورف استعماله في القصد إلى مكة للنُسك ، والحج إلى البيت خاصة . والحج : قصد التوجه إلى البيت بالأعمال المشروعة فرضا وسنة "[٥] ، وقريب من هذا المعنى ما ذكره الفيومي بقوله : " حجّ حجًّا من باب قتل :

---

(١) الصحاح للجوهري (حجج) ١/ ٣٠٣ .

(٢) المحكم لابن سيده (حجج) ٢/ ٤٨٠ .

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ١٥٤ .

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١/ ٣٤٠ .

(٥) لسان العرب مادة (حجج) ، وينظر : تاج العروس للزبيدي مادة (حجج) ٣/ ٣١٤ – ٣١٥.

قصد ، هذا أصله ، ثم قصر استعماله في الشرع على قصد الكعبة للحج "[١] ، ويلاحظ على ما ذكره صاحب المصباح أنه خلط بين قصد الحج وقصد العمرة ، مع أن هناك فرقاً بينهما، فالحج فُرض على المستطيع في أيام معلومة ، أما العمرة فهي سنة ، ومناسكها تؤدى في أي وقت من السنة .

كما أن علماء التفسير لم يغفلوا بيان الأصل والتطور للفظ " الحج " ، يقول الرازي : " الحج في اللغة عبارة عن القصد ... وأما في الشرع فهو : اسم الأفعال مخصوصة ، منها أركان ، ومنها أبعاض ، ومنها هيئات[٢] " ، ويقرر أبو البقاء الكفوي ذلك بقوله : " حجَّ : كل مَنْ قَصَدَ شيئا فقد حجَّه [٣]".

ثم قال في موضع آخر: " الحج معناه اللغوي: القصد على جهة التعظيم وهو كأخواته من المنقولات الشرعية . ومعناه الشرعي : القصد إلى بيت الله الحرام بأعمال مخصوصة "[٤]، وإذا كان الراغب قيد القصد (المعنى اللغوي) بالزيارة، فإن أبا البقاء قيده بالقصد على جهة التعظيم، ولاشك أن إقامة الشعائر والنسك في الحج إنما هي على سبيل التقرب لله ﷻ، تعظيما لشأنه .

وصفوة القول : أن ابن فارس كان واضحاً في تقديمه لبيان معنى الأصل - في لفظ الحج - وهو القصد المطلق ، والتغير الذي لحق به ، فأصبح يطلق على القصد إلى بيت الله الحرام في أماكن بعينها وفي أوقات معلومة ، والأخير طريقه التخصيص ، إذ حُدّد المعنى وضيق فيه ، ومرد التطور - هنا - هو الاستعمال المجازي لعلاقة المشابهة ، وهو ما آلت إليه دلالة هذا اللفظ .

---

(١) المصباح المنير مادة (حجج) ص ١٢١ .

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ٥/ ١١٨ ، ٤/ ١٤٤ .

(٣) الكليات لأبي البقاء الكفوي ص ٣٦٠ .

(٤) السابق ص ٤٠٥ - ٤٠٦ .

ربو (= الربا)

يقول ابن فارس : " ربا الشيء يربو : إذا زاد ، وربا الإنسان الرابية يربو : إذا علا ... والربا في المال معروف[١] " .

في النص السابق أشار ابن فارس إلى معنى الأصل للفظ (الربا)، وهو الزيادة والعلو المطلق، وجاء في المقاييس: " الراء والباء والحرف المعتل (وكذلك المهموز منه) يدل على أصل واحد، وهو الزيادة والنماء والعلو. تقول من ذلك: ربا الشيء يربو: إذا زاد ، وربا الرابية يربوها : إذا علاها . وربا : أصابه الربو : علوّ النَّفَس ... والرَّبوة والرُّبوة : المكان المرتفع[٢] ".

وأما اللفظ المتطور (الربا) فلم يفسره تفسيراً واضحاً ، واقتصر على قوله: " والربا في المال معروف " ، وإن كان بعض اللغويين جعله زيادة على أصل المال من غير عقد تبايع .

وسبقه الخليل في بيان معنى الأصل بقوله : " ربا الجرح والأرض والمال ، وكل شيء يربو رُبُوًّ : إذا زاد ، وربا فلان : أي أصابه نفس في جوفه ... وربا المال يربو في الربا ، أي : يزداد[٣] " ، وقال الإمام الشافعي: " من زاد أو ازداد فقد أربى[٤] " ، ويقول أبو عبيدة : " والربوة – بضم أولها ويكسر – : وهي النجوة من الأرض (أي المكان المرتفع منها) ، ومنها قولهم : فلان في ربوة من قومه : أي في عز وشرف[٥] " والزيادة والرفعة – في القول الأخير – معنوية .

---

(١) المجمل في اللغة لابن فارس ٢/ ٤١٤ .

(٢) مقاييس اللغة ٢/ ٤٨٣ – ٤٨٤ .

(٣) العين للخليل بن أحمد ٨/ ٢٨٣ .

(٤) الأم للإمام الشافعي ٨/ ٧٩٦ .

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢ / ٥٩ .

ويتفق ابن دريد مع اللغويين في تحديد معنى الأصل بقوله : " ربا الشيء يربو ربوا : إذا ارتفع، وكذلك: ربا جلده ربوا : إذا ورم (والورم يعد علوًّا وزيادة) [١]" ويقول الزجاج : " وأربى مأخوذ من ربا الشيء يربو : إذا كثر "[٢] . وتعد الكثرة زيادة أيضاً .

وساق الجوهري معنى الأصل (الزيادة والارتفاع والانتفاخ والنماء) وعبارته: " ربا الشيء يربو ربوا : أي زاد ، والرابية : الربو ، وهو ما ارتفع من الأرض ... وربا الفرس : إذا انتفخ من عَدْوٍ أو فزع ... وربَّيْته وتَربَّيْتُه ، أي : غذوته هذا لكل ما ينمي كالولد والزرع ونحوه "[٣] ، وقال الزمخشري : " ربا المال يربو : إذا زاد ... وربا الجرح : ورم ، وزبد رابٍ : منتفخ ... وفلان في رباوة قومه : في أشرافهم [٤] " .

وأشار بعض اللغويين والمفسرين إشارة واضحة إلى الربا في اللغة بمعني الزيادة مطلقا ، ثم اعتراه التطور والتغير ، فأصبح يطلق على زيادة المال دون وجه من الأوجه المشروعة ، يؤكد ذلك الراغب الأصفهاني بقوله: " والربا : الزيادة على رأس المال – لكن خص في الشرع بالزيادة على وجه دون وجه . وباعتبار الزيادة قال تعالى : ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ ﴾ " [٥].

---

(١) جمهرة اللغة لابن دريد ١/ ٢٧٨ ، ٣/ ٢٠٣ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٢١٧ ، فعلت وأفعلت للزجاج ص ٤٣ .

(٣) الصحاح للجوهري ٦/ ٢٣٤٩ – ٢٣٥٠ ، المحكم لابن سيده ١٠/ ٣٢٧ – ٣٢٨ .

(٤) أساس البلاغة للزمخشري ١/ ٣١٩ ، مفاتيح الغيب ٧/ ٧٥ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/ ١٢٧٠ ، الغريبين في القرآن والحديث للهروي ٣/ ٧٠٩ ، المصباح المنير (ربا) ص ٢١٧ .

(٥) من الآية (٣٩) من سورة (الروم) وينظر : المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٢٧٣ .

وأكد ابن الأثير معنى الأصل واللفظ المتطور من خلال قوله : " الأصل في الربا الزيادة . ربا المال يربو رَبْوًا : إذا زاد وارتفع ، والاسم الربا مقصور ، وهو في الشرع : الزيادة على أصل المال من غير عقد تبايع ، وله أحكام كثيرة في الفقه " (١) .

والطبري أيضاً يذكر معنى الأصل ، والتغير الذي اعترى لفظ (الربا) ، فيقول : " والإرباء : الزيادة على الشيء ، يقال منه : أربى فلان على فلان: إذا زاد عليه ... فأصل الربا : الإنافة والزيادة ، ثم يقال : أربى فلان ، آي : أنافه ماله حين صيّره زائدا ، وإنما قيل للمُربي : مُرْبٍ ، لتضعيفه المال الذي كان له على غريمه حالاً، أو لزيادته عليه فيه لسبب الأجل الذي يؤخره إليه ، فيزيده إلى أجله الذي كان له قبل حلّ دينه عليه (٢) " .

ويفصل الرازي القول في معنى الأصل والمتطور ، وحكمه في الشريعة ، فيقول: " الربا في اللغة عبارة عن الزيادة ، ومنه قوله : ﴿ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾(٣) أي : زادت ، وأربى الرجل : إذا عامل في الربا ، ومنه الحديث : " مَنْ أجْبَى فقد أرْبى " ، أي عامل بالربا ، والإجباء : بيع الزرع قبل أن يبدو صلاحه ، هذا معنى الربا في اللغة ... الربا يقتضي : أخذ مال الإنسان من غير عوض ، لأن من يبيع الدرهم بالدرهمين نقداً أو نسيئة ، فيحصل له زيادة درهم من غير عوض ، ومال الإنسان متعلق حاجته ، وله حُرمة عظيمة ، قال ﷺ : " حرمة مال الإنسان كحرمة دمه ، فوجب أن يكون أخذ ماله من غير عوض مُحرّما " (٤) .

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ١٩١ - ١٩٢ ، لسان العرب مادة (ربا) .

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ٣/ ٦٧ .

(٣) من الآية (٥) من سورة (الحج) .

(٤) مفاتيح الغيب للرازي ٧/ ٧٥ - ٧٧ .

ومن ثم فإن لفظ (الربا) في اللغة مطلق الزيادة ، ثم خصص المعنى وضُيّق فيه ، وحُدّد فصار يطلق على الزيادة – مثلا – دون عقد بيع أو وجه من الأوجه المشروعة ، وهذا ما قصده ابن فارس وأصحاب المعجمات العربية وعلماء التفسير، ولعل سبب التطور هنا هو الاستعمال المجازي لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي وبين ما استعمل فيه اللفظ ، وهو ما آلت إليه دلالة هذا اللفظ.

دبب (= دابة)

يقول ابن فارس : " دبَّ دبيبًا ، وكل ماش على الأرض دابة[١] " .

في النص السابق ألمح ابن فارس بتطور في لفظ (دابة)، وتدبر النص يسوغ لنا القول بأنه يعتبر معنى الأصل (حركة على الأرض أخف من المشي)، ثم بين – فيما بعد– إشارة إلى أن معنى (دابة): كل ماش على الأرض .

وقريب من هذا المعنى ما ذكره ابن الأثير بقوله : " ومنه الحديث : " عنده غُلَيّم يُدَبِّبُ " أي : يدرج في المشي رويداً[٢] " ، ويقول القرطبي معلقا على قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا ﴾[٣] : "معنى الدابة ، من دَبّ يدبُّ فهو دابٌّ : إذا مشى مشيا فيه تقارب خطو[٤] " .

غير أن هذا الأصل قد اعتراه التطور والتغير ، حيث خصص هذا المعنى وحُدّد ، فصار يطلق على الدابة من الحيوان ، وهذا هو الشائع المشهور ، وهناك من أدخل الطيور في الدواب أيضاً ، يقول ابن دريد : " والدُبُّ : هذه الدابة المعروفة – عربية صحيحة "[٥] ، ويقرر ابن سيده ذلك

---

(١) المجمل في اللغة ١/ ٢٣٠ .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٩٦ .

(٣) من الاية (٣٨) من سورة (الأنعام) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٣/ ٢٥٠٤ .

(٥) جمهرة اللغة لابن دريد ١/ ٢٦ .

بقوله : " والدابة : اسم لما دَبّ من الحيوان ، مميزة وغير مميزة ... وقد غلب هذا الاسم على ما يُركب من الدواب " [١] .

وأما صاحب المصباح فقد أشار إلى تطور لفظ (الدابة) بقوله: " ودَبَّ الجيش دبيبا أيضاً : ساروا سيرا لينا ، وكل حيوان في الأرض دابة ... وخالف فيه بعضهم فأخرج الطير من الدواب ، ورُد بالسماع ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء ﴾[٢] ، قالوا : أي خلق كل حيوان ، مميزا كان أو غير مميز ، وأما تخصيص الفرس والبغل بالدابة عند الإطلاق فعرف طارئ "[٣] .

وصرح أبو البقاء الكفوي بهذا التطور والتغير بقوله : " الدابة : هي تقع على كل ماش في الأرض عامة ، وعلى الخيل والبغال والحمير خاصة ، فما عدا الأنواع الثلاثة مخصوص من هذا الاسم بحكم الاستعمال ، ألا يُرى أن هذا الاسم لا ينطلق على الآدمي ، مع أنه يدب على وجه الأرض ؟ لأنه يراد بهذا الاسم في عرف الاستعمال ، فكذا ما عدا الأنواع الثلاثة " [٤] .

ومعنى ذلك أن لفظ (دابة) في تطوره ، قد خُصص معناه ، إذ ضُيّق فيه من كل ما يمشي على الأرض إلى كل من يدب عليها من الحيوانات التي تركب خاصة ، يقول الجوهري : " دَبَّ على الأرض يدب دبيبا ، وكل ماش على الأرض دابة ... والدابة التي تركب[٥] " .

ونرى زيادة تأكيد وتقرير لما سبق ، ما ذكره الراغب الأصفهاني بقوله:

---

(١) المحكم لابن سيده ٩/ ٢٧٩ .

(٢) من الآية (٤٥) من سورة (النور) .

(٣) المصباح المنير مادة (دبب) ص١٨٨ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٨٦٤ .

(٤) الكليات لأبي البقاء الكفوي ص ٤٤٨ .

(٥) الصحاح للجوهري مادة (ديب) ١ / ١٢٤ .

" الدَّبُّ والدبيب : مشيٌ خفيف ، يستعمل ذلك في الحيوان وفي الحشرات أكثر ... ويستعمل في كل حيوان – وإن اختص في التعارف بالفرس " (١) .

وجاء في اللسان : " ودبّ القوم على هينتهم : لم يسرعوا ... والدابة : اسم لما دبّ من الحيوان ، مميزة وغير مميزة . وفي التنزيل : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ﴾(٢) ... والدابة التي تُركب ، وقد غلب هذا الاسم على ما يُركب من الدواب ، وهو يقع على المذكر والمؤنث (٣) " .

ومن ثم : فإن لفظ (الدابة) قد خُصص مغناه ، فأصبح يطلق على الحيوان الذي يُركب ، وإن كان ابن فارس لم يشر إلى ذلك صراحة ، ومرد التطور – هنا – هو الاستعمال المجازي ، لعلاقة المشابهة بين كل ما يمشي على الأرض ، وبين ما تعورف عليه في ذلك ، وهو الحيوان خاصة ، وهو ما آلت إليه دلالة هذا اللفظ .

ركع (= الركوع)

يقول ابن فارس : " ركع الرجل : إذا انحنى . وكل مُنْحَنٍ راكعٌ " (٤) .

يشير ابن فارس إلى أصل معنى الركوع ، وهو الانحناء ، وأن كل منحن يعد راكعاً ، ويذكر في المقاييس التطور والتغير الذي اعترى هذا اللفظ ، حيث أصبح يطلق على الركوع الذي هو جزء من الصلاة ، فيقول : " الراء والكاف والعين أصل واحد ، يدل على انحناء في الإنسان وغيره ... والركوع في الصلاة من هذا ، ثم تصرّف الكلام فقيل للمصلي : راكع ،

---

(١) المفردات للراغب الأصفهاني ص ٢٣٧ .

(٢) من الآية (٤٥) من سورة (النور) .

(٣) اللسان مادة (دبب) ، تاج العروس للزبيدي مادة (دبب) ١/ ٤٧٧ – ٤٧٨ .

(٤) المجمل في اللغة ٢/ ٣٩٧ .

وقيل للساجد شكرا : راكع"[١].

ويبدو أن الركوع كان يعني في الأصل الانحناء والخضوع والذل والتطأطؤ، يعبر عن ذلك بعض علماء اللغة، يقول الزمخشري: " شيخ راكعٌ: منحنٍ من الكبر، وشيوخ رُكّع ، ومنه ركوع الصلاة... ومن المجاز: لغبت الإبلُ حتى ركعت، وهن رواكع: إذا طأطأت رؤوسها على وجوهها"[٢].

وفي بيان معنى أصل الركوع يقول الرازي معلقا على قوله تعالى : ﴿ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾[٣] : والمراد بالأمر من الركوع هو الأمر بالخضوع ، لأن الركوع والخضوع في اللغة سواء " [٤] ، وفي التاج : " ركع الشيخ : انحنى كبرا ، وهو أصل معنى الركوع[٥] " ، ويقول ابن سيده " الركوع : الخضوع ، عن ثعلب . ركع يركع ركْعا وركوعا : طأطأ رأسه . وكل قَوْمة في الصلاة ركعة [٦] " .

ويقول ابن الأثير: " في حديث علي قال : " نهاني أن أقرأ وأنا راكع أو ساجد " قال الخطابي : لما كان الركوع والسجود - وهما غاية الذل والخضوع - مخصوصين بالذكر والتسبيح ، نهاه عن القراءة فيهما " [٧] .

غير أن ابن فارس جعل أصل الركوع بمعنى الانحناء المطلق ، وفيه إشارة واضحة إلى التطور والتغير الذي اعترى لفظ (الركوع) الذي هو

---

(١) المقاييس ٢/ ٤٣٤ - ٤٣٥ .

(٢) أساس البلاغة ١/ ٣٦٨ ، تاج العروس (ركع) ١١/ ١٧٦ - ١٧٧ .

(٣) من الآية (٤٣) من سورة (البقرة) .

(٤) مفاتيح الغيب للرازي ٣/ ٤٢ .

(٥) تاج العروس مادة (ركع) ١١/ ١٧٦ .

(٦) المحكم لابن سيده ١/ ٢٧٥ .

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٢٥٩ .

ركن من أركان الصلاة ووافقه أما الراغب الأصفهاني فبيّن أن الركوع في اللغة الانحناء المطلق ، ثم تعورف عليه ركنا من أركان الصلاة ، فيقول : "الركوع : الانحناء ، فتارة يستعمل في الهيئة المخصوصة في الصلاة – كما هي ، وتارة في التواضع والتذلل– إما في العبادة ، وإما في غيرها [١] " .

وهذا ما حدا الفيومي يقول : " ركع ركوعا : انحنى، وركع : قام إلى الصلاة ، قاله ابن القوطية وجماعة ، وكل قومة ركعة ، ثم استعملت في الشرع في هيئة مخصوصة ، وركع الشيخ : انحنى من الكبر " [٢] .

وجاء في اللسان ما يؤكد ذلك ، يقول ابن منظور: " الركوع : الخضوع (عن ثعلب)... وأما الركوع فهو أن يخفض المصلي رأسه بعد القومة التي فيها القراءة ، حتى يطمئن ظهره راكعا ، قال لبيد :

أدِبُّ كأني كلما قمت رَاكِـعُ

فالراكع : المنحنى في قول لبيد ، وكل شيء ينكب لوجهه فتمس ركبته الأرض أو لا تمسها بعد أن يخفض رأسه فهو راكع[٣] " .

ويمكن القول : إن معنى أصل الركوع هو الانحناء المطلق على سبيل التواضع والذل والانقياد ، واللفظ في تطوره قد خصص وضُيّق فيه وحدّد فصار يطلق على الركوع في الصلاة خاصة ، على هيئة مخصوصة ، وهو أن يخفض المصلي رأسه بعد قومة القراءة ، حتى تنال راحتاه ركبتيه ، أو حتى يطمئن ظهره، وتقديره عند الفقهاء كما يقول الزبيدي : " بحيث إذا وضع على ظهره قدحٌ ملآنُ من الماء لم ينكبّ [٤] " .

---

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب ص ٢٩٥ .

(٢) المصباح المنير مادة (ركع) ص ٢٣٧ .

(٣) لسان العرب مادة (ركع) .

(٤) تاج العروس مادة (ركع) ١١/ ١٧٦ – ١٧٧ .

ولا يخفى أن مرد التطور هنا هو الاستعمال المجازي ، لعلاقة المشابهة بين الانحناء المطلق الذي هو أصل معنى الركوع ، وبين ما استعمل فيه – الآن – وهو الهيئة المخصوصة في الصلاة ، وهو ما آلت إليه دلالة هذا اللفظ.

زكا (= الزكاة)

يقول ابن فارس : " الزكاة : زكاة المال ، وسميت بذلك لأنها مما يُرجى به زكاء المال ، وهو زيادته ونماؤه [١] " .

يشير ابن فارس إلى أصل معنى الزكاة ، وهو الزيادة والنماء ، وهذا ما أكده ابن قتيبة بقوله : " الزكاة من الزكاء ، وهو النماء والزيادة[٢] ، ويقول الأزهري: " والزكاة هي الزيادة ، من قولك : زكا يزكو زكاءً[٣] " ، وجعله الجوهري بمعنى النماء[٤] ، والزمخشري [٥] كذلك .

ويوضح ابن الأثير معنى الأصل بقوله : " وأصل الزكاة في اللغة : الطهارة والنماء والبركة والمدح[٦] " ، ونقل ابن منظور[٧] ذلك عنه أيضاً . وتعرض الهروي لمعنى الأصل من خلال قوله تعالى: ﴿ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾[٨] : " أي : أنمى وأعظم بركة ... يقال : زكا الشيء يزكو : إذا كثر ، ودخلت فيه البركة[٩] " ، والتعبير بالكثرة دليل على الزيادة أيضاً .

---

(١) المجمل في اللغة ٢/ ٤٣٧ .

(٢) غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٢٥ .

(٣) تهذيب اللغة للأزهري (زكا) ١٠ / ٣٢٠ .

(٤) الصحاح للجوهري (زكا) ٦/ ٢٣٦٨ .

(٥) أساس البلاغة للزمخشري (زكا) .

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الثير ٢/ ٣٠٧ .

(٧) لسان العرب مادة (زكا) .

(٨) من الآية (٢٣٢) من سورة (البقرة) .

(٩) الغريبين في القرآن والحديث للهروي ٣/ ٨٢٥ .

وقد صرح ابن فارس بالتطور والتغير الذي اعترى هذا الأصل ، فأصبح يطلق على زكاة المال وهي : القدر الذي يخرجه الإنسان من المال وغيره للفقراء والمساكين، وأكد بعض أئمة اللغة معنى الأصل واللفظ المتطور، يقول الأزهري : " قيل لما يخرج من المال للمساكين من حقوقهم : زكاةٌ ، لأنه تطهير للمال ، وتثمير وإصلاح ونماء[١] " والراغب الأصفهاني – كذلك – يقول : " أصل الزكاة : النمو الحاصل عن بركة الله تعالى ... ومنه الزكاة : لما يخرج الإنسان من حق الله تعالى إلى الفقراء "[٢] .

وعضّد الطبري معنى أصل الزكاة والتطور الذي لحق هذا اللفظ بقوله : " وأصل الزكاة نماء المال وتثميره وزيادته ... وإنما قيل للزكاة : زكاة ، وهي مال يخرج من مال ، لتثمير الله بإخراجها مما أخرجت منه ما بقي عند رب المال من ماله [٣] " .

وفصّل الرازي ذلك عند تعليقه على قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ﴾[٤] : " أما الزكاة فهي في اللغة عبارة عن النماء ، يقال : زكا الزرع : إذا نما ، وعن التطهير ، قال الله تعالى : ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً ﴾[٥] أي : طاهرة .... ولعل إخراج نصف دينار من عشرين دينارا سمي بالزكاة، تشبيها بهذين الوجهين ، لأن في إخراج ذلك القدر تنمية للبقية من حيث البركة[٦] " .

---

(١) تهذيب اللغة (زكا) ١٠ / ٣٢١ .

(٢) ينظر : المفردات للراغب الأصفهاني ص٣١٢– ٣١٣ ، اللسان مادة (زكا) المصباح مادة (زكا) ص ٢٥٤ .

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ١/ ٢٠٣ .

(٤) من الآية (٤٣) من سورة (البقرة) .

(٥) من الآية (٧٤) من سورة (الكهف) .

(٦) مفاتيح الغيب للرازي ٣/ ٤٢ .

وقريب من المعنى السابق ما ذكره أبو البقاء الكفوي حين تعرض لمعنى الأصل والتطور ، فيقول : الزكاء - بالهمز - : بمعنى النماء . الزكاة : كل شيء يزداد فهو يزكو زكاة ، ويسمى ما يخرج من المال للمساكين بإيجاب الشرع زكاة ، لأنها تزيد في المال الذي تخرج منه ، وتوقره وتقيه من الآفات[١] " .

ويمكن القول : إن معنى أصل الزكاة في اللغة هو النماء والزيادة مطلقا ، فكل شيء ينمي ويزداد يسمى زكاة ، كما قال ابن فارس وغيره ، وإن لم يشر إلى اللفظ المتطور ، ذلك الذي يراد به القدر المخرَج من المال وغيره للفقراء والمساكين تقرّبا إلى الله ﷻ ، ورجاء للبركة والخير والفضل ، ونستأنس في ذلك بما قاله الرازي : " فإن الله يرفع البلاء عن ذلك المال ، بسبب تزكية تلك العطية ، فصار ذلك نماء في المعنى ، وإن كان نقصانا في الصورة ، ولهذا قال ﷺ : ((عليكم بالصدقة فإن فيها ست خصال ؛ ثلاثة في الدنيا ، وثلاثة في الآخرة ؛ فأما التي في الدنيا فتزيد في الرزق ، وتكثر المال، وتعمر الديار ، وأما التي في الآخرة فتستر العورة ، وتصير ظِلاً فوق الرأس ، وتكون سترا من النار)) [٢].

ولا يخفى أن مرد التطور - هنا - هو الاستعمال المجازي لعلاقة المشابهة بين الزيادة مطلقا ، وبين ذلك القدر المُخرج ، لتنمية الله إياه بالبركة وتطهيرٍ له من الذنوب والآفات ، وتقربٍ إلى الله بصالح الأعمال ، وهو ما آلت إليه دلالة هذا اللفظ .

---

(١) الكليات ص ٤٨٦ .

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ٣/ ٤٢ .

سجد (= السجـود)

يقول ابن فارس : " سجد : إذا تطامن ، وكل ما ذَلّ فقد سجد [١] " .

في النص السابق إشارة إلى تطور لفظ (السجود) ، غير أن ابن فارس ذكر معنى الأصل في اللغة ، وهو التطامن والذل والانحناء والتطأطؤ ، في المقاييس بقوله : " السين والجيم والدال أصل واحد مطرد ، يدل على تطامن وذلك ، يقال : سجد : إذا تطامن . وكل ما ذلّ فقد سجد . قال أبو عمرو : أسجد الرجل : إذا طأطأ رأسه وانحنى[٢] " .

وبيّن ابن دريد معنى أصل السجود بقوله : " وأصل السجود : إدامة النظر في إطراق إلى الأرض " [٣] . بمعنى استرخاء العين عند النظر إلى الأرض ، وفيه معنى الميل مع سكون .

أما الطبري فجعل الانحناء تعظيما أصلا لهذا الجذر بقوله : " وأصل السجود: الانحناء لمن سجد له معظما بذلك ، فكل منحن لشيء تعظيما له فهو ساجد ، ومنه قول الشاعر :

بجمع تضـلُّ البُلْـق في حجراته ترى الأُكْمَ منه سُجّدا للحوافر

يعني بقوله : سُجّدا : خاشعـة خاضعـة[٤] " .

وقريب من هذا المعنى ما ذكره الزمخشري بقوله: " وسجد البعير وأسجد : طأمن رأسه لراكبه[٥] ". وهذا يعني أن السجود في العرف اللغوي مجرد انحناء وتطامن وذل وخضوع، وقد يتحقق ذلك على جهة التعظيم لمن تمّ له فعل ذلك.

---

(١) المجمل في اللغة ٢/ ٤٨٦ .

(٢) المقاييس ٣/ ١٣٣ .

(٣) جمهرة اللغة ٢/ ٦٦ .

(٤) جامع البيان في تفسير القرآن ١/ ٢٣٨ .

(٥) أساس البلاغـة (سجد) ١/ ٤٢٣ .

ويلاحظ أن ابن فارس لم يشر إلى تطور هذا اللفظ ، مع جلائه ووضوحه، حيث ذكر معنى الأصل في اللغة فقط ، وهناك من علماء اللغة مَنْ بَيّن اللفظ المتطور ، يقول ابن قتيبة : " وأصل السجود : التطأطؤ والميل، يقال : سجد البعير وأسجد : إذا طؤطئ ليُركب ، وسجدت النخلة : إذا مالت ... ومن هذا قيل لمن وضع جبهته على الأرض : ساجد ، لأنه تطامن في ذلك ، ثم قد يستعار السجود ، فيوضع موضع الاستسلام والطاعة والذل "(١) .

وأكد الجوهري المعنى السابق ، وعبارته : " سجد : خضع ... ومنه سجود الصلاة وهو وضع الجبهة على الأرض ... أبو عمرو : أسجد الرجل: طأطأ رأسه وانحنى(٢) " ، ونص الراغب الأصفهاني على بيان معنى الأصل والتطور بقوله : " السجود أصله التطامن والتذلل ، وجعل ذلك عبارة عن التذلل لله تعالى وعبادته – وهو عام في الإنسان والحيوانات والجمادات ... وخص السجود في الشريعة بالركن المعروف من الصلاة (٣) " .

وتبعه في ذلك ابن الأثير بقوله : " يقال : أسجد الرجل : طأطأ رأسه وانحنى، قال : وقُلْن له فاسْجُدْ لليلى فأسْجدا

يعني : البعير ، أي : طأطأ لها لتركبه . فأما سجد فبمعنى : خضع ، ومنه (سجود الصلاة) وهو : وضع الجبهة على الأرض ، ولا خضوع أعظم منه "(٤).

وجاء في اللسان : " قال الزجاج : إنه (أي السجود) من سنّة التعظيم

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص ٤١٦ .

(٢) الصحاح للجوهري (سجد) ٢/ ٤٨٣ – ٤٨٤ ، وينظر : المحكم لابن سيده (سجد) ٧/ ٢٦١ – ٢٦٢ .

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٣٢٨ – ٣٢٩ .

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٣٤٢ .

في ذلك الوقت أن يسجد للمُعَظم ... أبو بكر : سجد : إذا انحنى وتطامن إلى الأرض ... ومنه سجود الصلاة ، وهو وضع الجبهة على الأرض ... وكل من ذَلّ وخضع لما أُمِرَ به فقد سجد[١] " .

وجعل الهروي معنى أصل السجود : المَيْل ، وهو قريب من الخضوع لمن سُجِدَ له ، فيقول : " وأصل السجود : الميل ، قال ابن السكيت : يقال : أسجد الرجل : إذا طأطأ رأسه ، وسجد : إذا وضع جبهته بالأرض[٢] " .

وفصّل القول أبو البقاء الكفوي في معنى أصل السجود، الذي استُعْمِل قبل الإسلام وهو (الخضوع والتذلل والانقياد) ثم تطور اللفظ وخُصص بوضع الجبهة على الأرض، فيقول: " وسجود الملائكة كان سجود تعظيم وتحية، كسجود إخوة يوسف له، ولم يكن فيه وضع الجبهة على الأرض، وإنما كان الانحناء، فلما جاء الإسلام بطل ذلك في الإسلام... والسجود: التطامن مع خفض الرأس، وبه يفارق الركوع... وفي الشرع: وضع الجبهة على الأرض[٣] " .

ويقول القرطبي من خلال تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾[٤]: " وقال قوم: لم يكن هذا السجود المعتاد اليوم ، الذي هو وضع الجبهة على الأرض، ولكنه مبني على أصل اللغة، فهو التذلل والانقياد ، أي: اخضعوا لأدم، وأمِّروا له بالفضل فسجدوا ، أي : امتثلوا ما أُمِرُوا به "[٥].

من خلال ما سبق يمكن القول : إن لفظ السجود قد تطورت دلالته ، إذ

---

(١) لسان العرب مادة (سجد) ، المصباح (سجد) ص٢٦٦، تاج العروس (سجد) ٦/٥- ٧ .

(٢) الغريبين في القرآن والحديث للهروي ٣/ ٨٦٧ .

(٣) الكليات لأبي البقاء الكفوي ص ٥١٣ .

(٤) من الآية (٣٤) من سورة (البقرة) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/ ٣٣٤ – ٣٣٥ .

إنه كان يعني مجرد الانحناء والتذلل والخضوع والانقياد والتطامن ، ثم خُصص معناه - بعد الإسلام - والتضييق فيه ، فأصبح في الشرع هيئة مخصوصة بوضع الجبهة على الأرض ، والأنف ، واليدين ، والركبتين ، والرِّجلين ، خضوعا وتعظيما وتواضعا لله ﷻ ، وإذا أطلق الآن فإنه يعني الركن المعروف من أركان الصلاة .

وسر التطور - هنا - هو الاستعمال المجازي لعلاقة المشابهة بين ما استعمل فيه اللفظ في المعنى اللغوي ، وبين ما يراد به عند تبادره إلى الذهنين وإطلاقه الآن ، وهذا ما بيَّنه أصحاب المعجمات والمفسرون وأهل اللغة ، وهو ما آلت إليه دلالة هذا اللفظ .

شطن = (الشيطان)

يقول ابن فارس : " وفي الشيطان قولان : أحدهما إن النون أصلية ، فيكون سمي بذلك لبعده عن الحق وتمرده ، وذلك أن كل عات متمرد من الجن والإنس والدواب شيطان[١] " .

في النص السابق الذي ساقه ابن فارس دلالة واضحة على أن لفظ (شيطان) اعتراه التطور والتغير، حيث يدل اللفظ في أصل وضعه على : كل عات متمرد من الجن والإنس والدواب ، ثم صار يطلق على إبليس وأعوانه، يقول أبو البقاء الكفوي : " الشيطان : كل شيطان ذكر في القرآن ، فالمراد به إبليس وجنوده ، إلا ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾[٢] ، فإن المراد المجاهرين بالكفر أو كبار المنافقين [٣] " .

ثم شبهت العرب أصحاب الأخلاق الذميمة ، والمتمادي في الطغيان

---

(١) المجمل في اللغة ٢/ ٥٠٢ .

(٢) من الآية (١٤) من سورة (البقرة) .

(٣) الكليات لأبي البقاء الكفوي ص ٥٢٣ .

والعصيان بالشيطان ، مع أنه لا يُرى ، ولذلك تخيله الإنسان في صورة قبيحة ، وشره الدائم المتواصل الذي لا ينقطع .

وهذا يتفق مع ما ذكره اللغويون ، يقول الخليل بن أحمد : " والشيطان : فيعال من (شطن) أي بَعُد ، ويقال : شيطن الرجل وتشيطن : إذا صار كالشيطان وفَعَل فعله[١] " .

ويؤكد ذلك التأصيل ابن قتيبة بقوله : " وشياطين الجن : مردتهم ، وكذلك شياطين الإنس : مردتهم أيضاً ، كأن المارد منهم يخرج عن جملتهم ويبعد منهم لتمرده " [٢].

ويعضد هذا التأصيل ويؤكده الجوهري بقوله : " والشيطان معروف . وكل عات من الإنس والجن والدواب شيطان[٣] "، وأكد ذلك الراغب الأصفهاني بقوله: " اسم لكل عارم من الجن والإنس والحيوان " وهذا هو الأصل ، ثم يشير أنه مخلوق من النار ، ولذلك اختص بصفات سيئة بقوله : " فالشيطان : مخلوق من النار كما دل عليه قوله تعالى : ﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾[٤] . ولكونه من ذلك اختص بفرط القوة الغضبية ، والحمية الذميمة ، وامتنع من السجود لآدم[٥] " .

ويرى البحث زيادة تقرير وتأكيد لما ذهب إليه الطبري بقوله : " والشيطان في كلام العرب : كل متمرد من الجن والإنس والدواب وكل شيء ، وكذلك قال ربنا – جل ثناؤه – : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ

---

(١) العين للخليل بن أحمد ٦/ ٢٣٦ – ٢٣٧ .

(٢) تفسير غريب القرآن ص٢٣– ٢٤ ، جمهرة اللغة ٣/ ٥٨.

(٣) الصحاح مادة (شطن) ٥/ ٢١٤٤، اللسان مادة (شطن) ، المصباح (شطن) ص٣١٣ .

(٤) من الآية (١٥) من سورة (الرحمن) .

(٥) المفردات في غريب القرآن ص ٣٨٣ .

الإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾ [١] ، فجعل من الإنس شياطين ، مثل الذي جُعل من الجن .. وإنما سمي المتمرد من كل شيء شيطاناً ، لمفارقته أخلاقه وأفعاله أخلاق سائر جنسه وأفعاله ، وبُعده من الخير "[٢] .

أما الهروي فجعل التمرد بيانا لمعنى الأصل بقوله: قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾[٣] ، يعني : مردتهم ، قال ابن عرفة : الشيطان من الشطن ، وهو الحبل الطويل المضطرب ، والشطن : البعد ، فكأنه تباعد عن الخير وطال في الشر واضطرب ... وقوله تعالى : ﴿ كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾[٤] قيل : هي حيات لها رءوس منكرة وأعراف ، وقيل : رءوس الشياطين : نَبْت معروف وقيل : بل أريد بها الشياطين المعروفة ، وكل شيء يستقبح كأنه يُشَبّه بالشيطان [٥] " .

وفصّل القول الشيخ أبو حاتم الرازي في أصل وضع اللفظ وتطوره بقوله : " قال أبو عبيدة : كل عات متمرد من الجن والإنس والدواب شيطان . ويقول العرب لكل منفرد بقوته وجلده ، مستقل بنفسه ، منهمك في أمره : شيطان ... فكأن شياطين الإنس والجن هم المستبدون بقوتهم ، المتفرقون بأنفسهم ، المتباعدون عن الحق ، المتنحون عن الطريق ، لا ينقادون لأحد استعلاء وترفعا وإعجابا بأنفسهم "[٦] .

ويمكن القول : إن لفظ (الشيطان) يعني عند أهل اللغة : كل متمرد من الجن والإنس والدواب ، وكل شيء ، وهذا هو الأصل الذي ذكره ابن

---

(١) من الآية (١١٢) من سورة (الأنعام) .

(٢) جامع البيان ١/ ٣٧ – ٣٨ .

(٣) من الآية (١٤) من سورة (البقرة) .

(٤) من الآية (٦٥) من سورة (الصافات) .

(٥) الغريبين في القرآن والحديث ٣/ ١٠٠٣ .

(٦) كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية ٢/ ١٧٩ – ١٨٠ .

فارس، ومن تبعه من اللغويين ، غير أن هذا اللفظ قد اعتراه التطور والتغير ، فصار يطلق على إبليس وجنوده الذين ابتعدوا عن رحمة الله ، يقول أبو البقاء الكفوي: " وهو المحرق في الدنيا والآخرة ، والعصي الآبي ، الممتلئ شرا ومكراً ، أو المتمادي في الطغيان ، الممتد إلى العصيان " (١) .

ومرد التطور - هنا - هو الاستعمال المجازي لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي للشيطان وهو كل عات متمرد من الجن والإنس والدواب وكل شيء وبين ما استعمل فيه الآن اللفظ المتطور وهو إبليس وجنوده ، وهو ما آلت إليه دلالة هذا اللفظ .

وإتماماً للفائدة ، يمكن إجمال القول في لفظ (الشيطان) :

أولاً : إن ما قرره أهل اللغة لوحظ أن لفظ (الشيطان) يحمل معنى التمرد ، والبعد عن الخير والحق .

ثانياً : لا مجال للحديث عن اشتقاق هذا اللفظ ، سواء أكانت النون أصلية ، أو زائدة فالمعنى فيه البعد كما في قوله : " شطنت داري من دارك " بمعنى: بعدت .

ثالثاً : الشيطان لا يُرى ، وإنما يتخيله الإنسان في صورة من أقبح ما يكون من الأشياء ، ولو رئي لرئي في أقبح صورة ، لاعتقادهم أنه شر محض لا يخالطه خيـــر .

رابعاً : أطلق اللغويون على الشيطان بأنه حيَّة من نوع خاص ، لها رءوس منكرة وأعراف ، يقول الرازي : " وهي من أقبح الحياة ، وبها يضرب المثل في القبح ، والعرب إذا رأت منظرا قبيحاً ، قالت كأنه شيطان الحماطة ، والحماطة شجرة معينة " (٢).

---

(١) الكليات ص ٥٤٠ .

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ٢٦ / ١٢٤ .

عمر (= الاعتمار)

يقول ابن فارس : " والاعتمار في الحج ، أصله الزيادة "[١].

في النص السابق إشارة واضحة لتطور لفظ (الاعتمار) ، وأصله الزيارة ، وهذا المعنى يتفق وما تناوله أصحاب المعجمات العربية ، حيث يقول الجوهري: " والعمرة في الحج، وأصلها الزيارة... واعتمره، أي: زاره [٢] " .

ويقول الفيومي : " والعمرة : الحج الأصغر ... وهي مأخوذة من الاعتمار وهو الزيارة[٣]" .

وأكد ذلك الرازي بقوله : " وأما العمرة فقال أهل اللغة : الاعتمار هو القصد والزيارة ، قال الأعمش :

وجاشت النفس لما جاء جمعهم وراكب جاء من تثليث معتمـــر

...قال القفال: ولا شبهة في العمرة إذا أضيفت إلى البيت أن تكون بمعنى الزيارة، لأن المعتمر يطوف بالبيت وبالصفا والمروة، ثم ينصرف كالزائر[٤] ".

غير أن ابن فارس اقتصر على بيان الأصل فقط ، ولم يشر إلى التطور والتغير الذي اعترى هذا اللفظ ، وهو القصد إلى بيت الله الحرام بشروط مخصوصة ، في أي وقت من السنة ، يقول ابن سيده مؤكدا ذلك : " والعمرة في الحج معروفة ، وقد اعتمر ، وقوله ﷻ : ﴿ وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ ﴾[٥]، قال أبو إسحاق : معنى العمرة في العمل : الطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة فقط ، والعُمرة للإنسان في كل السنة ، والحج وقته واحد من السنة ، ومعنى اعتمر في قصد البيت : أنه إنما خصّ

---

(١) المجمل في اللغة ٣/ ٦٢٩ .

(٢) الصحاح ٢/ ٧٥٧ – ٧٥٨ .

(٣) المصباح المنير مادة (عمر) ص ٤٢٩ .

(٤) مفاتيح الغيب للرازي ٤/ ١٤٤ .

(٥) من الآية (١٩٦) من سورة (البقرة) .

بهذا لأنه قصد بعمل ... واعتمر الأمر : أمَّهُ وقصد له[١] " .

وقريب من المعنى السابق ما ذكره الراغب الأصفهاني بقوله : " والاعتمار والعمرة : الزيارة التي فيها عمارة الود ، وجعل في الشريعة للقصد المخصوص[٢]" .

وتبعه ابن الأثير في بيان معنى الأصل والتطور والتغير لهذا اللفظ بقوله: "العمرة: الزيارة يقال: اعتمر فهو معتمر، أي زار وقصد، وهو في الشرع: زيارة البيت الحرام بشروط مخصوصة، مذكورة في الفقه[٣] " .

ويرى ابن منظور أن معنى الأصل الزيارة ، ودلالة اللفظ الذي اعتراها التطور هو القصد إلى البيت خاصة لأداء الطواف والسعي بين الصفا والمروة ، وفرّق بين الحج والعمرة ، وإن كانا يلتقيان في معنى الأصل ، فيقول : " وقد اعتمر ، وأصله من الزيارة ... والفرق بين الحج والعمرة ، أن العمرة تكون لإنسان في السنة كلها ، والحج وقت واحد في السنة ، ولا يجوز أن يُحْرَم به إلا في أشهر الحج " شوال وذي القعدة وعشر من ذي الحجة " ... والعمرة مأخوذة من الاعتمار ، وهو الزيارة ... وهو في الشرع : زيارة البيت الحرام بالشروط المخصوصة المعروفة " [٤] .

ومعنى ذلك أن اللفظ قد تطورت دلالته بتخصيص معناه وتحديده ، إذ ضُيّق فيه من الزيارة والقصد المطلق إلى الزيارة لبيت الله الحرام لأداء بعض المناسك والشعائر في أي وقت من السنة ، بخلاف الحج الذي يكون في أوقات معلومة كما مـــر .

وسر التطور هنا هو الاستعمال المجازي لعلاقة المشابهة بين القصد

---

(١) المحكم لابن سيده ٢/ ١٥٠ .

(٢) المفردات في غريب القرآن ص ٥١٩ .

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٢٩٧ .

(٤) لسان العرب مادة (عمر) ، تاج العروس للزبيدي مادة (عمر) ٦/ ٢٦١ .

المطلق للزيارة وبين القصد المخصوص بشروط معروفة ، وهو ما آلت إليه دلالة اللفظ ، وإن كان ابن فارس لم يشر إلى التطور مع جلائه ووضوحـــه.

فقه (= الفقه)

يقول ابن فارس : " الفقه : العلم بالشيء ، تقول : فقهت الحديث أفقهه ، وكل علم بشيء فقه، ثم اختص به علم الشريعة ، فقيل لكل عالم بها : فقيه[١] ".

في الفقرة السابقة إشارة واضحة إلى تطور معنى لفظ (الفقه) ، حيث نبه ابن فارس على معنى الأصل ، وهو : العلم والفهم للشيء والإدراك له ، وهو ما تُجمع عليه المعاجم اللغوية ، ويقول- أيضاً- في المقاييس : " الفاء والقاف والهاء أصل واحد صحيح ، يدل على إدراك الشيء والعلم به ، تقول: فقهت الحديث أفقهه ، وكل علم بشيء فهو فقه[٢] " .

ويقرر الزمخشري ذلك بقوله : " وقال أعرابي لعيسى بن عمر : شهد عليك بالفقه ، أي بالفهم والفطنة[٣] "، ويقول الهروي معلقاً على قوله تعالى : ﴿ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ ﴾[٤] : أي ليكونوا علماء به[٥].

غير أن هذا اللفظ قد اعتراه التطور والتغير فصار يطلق على العلم الذي يتضمن أحكامًا شرعية " كالصلاة والصوم وسائر العبادات ، وما يتعلق بها ، وكالبيع والإجارة وسائر أنواع المعاملات المالية ، وكالنكاح والطلاق ، وسائر العلاقات الأسرية ، وكالحدود والأقضية وما يتعلق بها ،

---

(١) المجمل في اللغة (فقه) ٣/ ٧٠٣ .

(٢) المقاييس (فقه) ٤/ ٤٤٢ .

(٣) أساس البلاغة (فقه) ٢/ ٢١٠ .

(٤) من الآية (١٢٢) من سورة (التوبة) .

(٥) الغريبين في القرآن والحديث ٥/ ١٤٦٦ .

والميراث وما يتعلق به[١] " .

وهذا ما نبه عليه ابن سيده من خلال قوله : " الفقه : العلم بالشيء والفهم له ، وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم ، كما غلب النجم على الثريا ، والعود على المندل[٢] " ، ويلاحظ مما ذكره ابن سيده : أن علم الفقه فُضّل على سائر العلوم، كما خُصّ النجم بالثريا فصار علما " والنجم في الأصل : اسم لكل واحد من كواكب السماء ، وهو بالثريا أخص[٣] " ، وكما فُضّل العودُ على المَنْدَل ، وهو أجوده ويقال : " هو عود الطيب الذي يتبخّر به ، ونُسب إلى مندل ، وهو موضع بالهند ، يُجْلَبُ منه العود[٤] " .

ويذكر الراغب معنى الأصل والتطور في هذا اللفظ بقوله : " الفقه هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد ، فهو أخص من العلم ... والفقه : العلم بأحكام الشريعة . يقال : فقه الرجل فقاهة : إذا صار فقيها[٥] " ويفهم من هذا: أن الفقه أعم وأوسع وأعمق من الفهم .

ويقول ابن الأثير في حديث ابن عباس : " دعا له النبي ﷺ فقال : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل " : أي : فهمْه : والفقه في الأصل الفهم ... وقد جعله العرف خاصا بعلم الشريعة وتخصيصا بعلم الفروع منها[٦] " .

وقريب من هذا المعنى ما ذكره أبو هلال العسكري بقوله : " وسمي علم

---

(١) علم فقه اللغة العربية – أصالته ومسائله د. محمد حسن جبل ص١١– مكتبة الآداب بالقاهرة – ميدان الأوبرا – الطبعة الأولى سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م .

(٢) المحكم لابن سيده (فقه) ٤/ ١٢٨ .

(٣) لسان العرب مادة (نجم) .

(٤) السابق مادة (ندل) .

(٥) المفردات ص ٥٧٧ .

(٦) النهاية في غريب الحديث ٣/ ٤٦٥ ، اللسان مادة (فقه) ، المصباح المنير مادة (فقه) ص ٤٧٩ .

الشرع فقها، لأنه مبني على معرفة كلام الله تعالى ، وكلام الرسول ﷺ [١]".

وفي ضوء ما ذكرناه يتضح أن ابن فارس كان موافقا لما أتى به اللغويون في بيان معنى أصل (الفقه) : وهو الفهم والإدراك والعلم بالشيء، ثم اعتراه التطور والتغير ، فأصبح يطلق على علم الشريعة ، المختص بالأحكام والعبادات وغير ذلك .

ولعل سر التطور - هنا - هو الاستعمال المجازي لعلاقة المشابهة بين معنى الأصل وبين ما استعمل فيه الآن ، وهو ما آلت إليه دلالة هذا اللفظ .

فيأ (= الفيـئ)

يقول ابن فارس : " الفيئ : الظل إذا رجع من جانب المغرب إلى جانب المشرق ، وكل رجوع فيء ، قال الله جلا وعلا : ﴿ حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾[٢] .

في النص السابق الذي ساقه ابن فارس إشارة واضحة إلى تطور لفظ (الفيء) وأصله في اللغة الرجوع من حالة إلى حالة ، وهذا يتساوق مع ما ذكره اللغويون ، يقول ابن سيده : " وفاء إلى الأمر ، وفاءه فيئا وفيوءا : رجع إليه[٣] " .

وقال الراغب: "الفيء والفيأة:الرجوع إلى حالة محمودة[٤]"، وأكد الزمخشري معنى الأصل السابق بقوله:" فاء إلى الله فيئة حسنة: إذا تاب ورجع[٥] " .

ويقول الطبري : " وأصل الفيء : الرجوع من حال إلى حال ، ومنه

---

(١) الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري ص٨٠ – دار الآفاق الجديدة – بيروت – سنة ١٩٩٧م .

(٢) المجمل في اللغة (فيأ) ٣/ ٧٠١ ، والآية من سورة (الحجرات) رقم (٩) .

(٣) المحكم لابن سيده (فيأ) ١٠/ ٥٤٧ – ٥٤٨ .

(٤) المفردات للراغب الأصفهاني ص ٥٨٥ .

(٥) أساس البلاغة للزمخشري (فيأ) ٢/ ٢٢١ .

قول الله تعالى ذكره : ﴿ حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ يعني : حتى ترجع إلى أمر الله ... لأن الفيء في كل الأشياء بمعنى الرجوع[١] " .

واللفظ في تطوره قد خُصِّص معناه وحُدّد ، فصار يطلق على الظل بعد الزوال ، لرجوعه من جانب الغرب إلى جانب الشرق ، وهذا ما نبه عليه ابن فارس ، ويتفق معه ابن دريد إذ يقول : " والفيء يكون في آخر النهار ، والظل في أوله ، لأن الفيء ما فاء فنسخ الشمس "[٢] .

وفي بيان معنى أصل الفيء وتطوره – كما قال ابن فارس – يذكر ابن قتيبة ذلك من خلال قوله : " تفيّؤ الظلال : رجوعها من جانب إلى جانب ، فهي مرة تجاه الشخص ، ومرة وراءه عن يمينه ، ومرة عن شماله . وأصل الفيء : الرجوع ، ومنه قيل للظل في العشيّ : فيئٌ ،لأنه فاء ،أي رجع من جانب إلى جانب "[٣].

ويعضد التأصيل والتطور الجوهري بقوله: "فاء يفيء فيئا: رجع... والفيء: ما بعد الزوال من الظل، وإنما سمي الظل فيئا لرجوعه من جانب إلى جانب[٤] " .

وابن الأثير كذلك يذكر الأصل والتطور بقوله: " وأصل الفيء : الرجوع ... ومنه قيل للظل الذي يكون بعد الزوال : فيء ، لأنه يرجع من جانب الغرب إلى جانب الشرق[٥] " .

والفيومي أكد المعنى السابق أيضاً ، غير أنه فَرّق بين الظل الذي يكون

---

(١) جامع البيان للطبري ٢/ ٢٥٢ – ٢٥٤ .

(٢) جمهرة اللغة لابن دريد (فيأ) ٣/ ٢٦٦ .

(٣) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ١٥٠ ، غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٤٥ – ٤٦ ، أدب الكاتب له أيضاً ص ٢٩ – ٣٠ .

(٤) الصحاح للجوهري مادة (فيأ) ٣/ ٢٦٦ .

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٤٨٣ ، لسان العرب مادة (فيأ) .

غدوة وعشية وبين الفيء الذي لا يكون إلا بعد الزوال بقوله : " قال ابن قتيبة : يذهب الناس إلى أن الظل والفيء بمعنى واحد ، وليس كذلك ، بل الظل يكون غدوة وعشية ، والفيء لا يكون إلا بعد الزوال ، فلا يقال لما قبل الزوال فيء وإنما سمي بعد الزوال فيئا ، لأنه ظل فاء من جانب المغرب إلى جانب المشرق ، والفيء : الرجوع[١] " .

ويتفق الهروي مع اللغويين – في ذلك – عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ ﴾[٢] : " أي تتنقل ، والظل يرجع عن كل شيء من جوانبه ، والفيء : الرجوع ، ومنه قيل للظل بعد الزوال : فيء ، لأنه رجع عن جانب المشرق إلى جانب المغرب[٣] " ولم يخرج الزبيدي عن هذا المعنى[٤] .

إذاً : ما أتى به اللغويون يتساوق مع ذكره ابن فارس في هذا الصدد ، إذ كان المعنى اللغوي العام للفيء هو الرجوع المطلق ، ثم خصص وضُيِّق فيه فصار مستعملا بمعنى الظل لرجوعه عن جانب الغرب إلى جانب الشرق ، وسر التطور – هنا – هو الاستعمال المجازي لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي وبين ما استعمل فيه اللفظ عند إطلاقه .

وإتماما للفائدة نقول : إن الفيء بمعنى الخراج والغنيمة يرد إلى معنى الرجوع أيضاً ، وهو المال الذي يُرد إلى المسلمين من أموال الكفار عفوا بلا قتال[٥] .

---

(١) المصباح المنير مادة (ظلل) ص ٣٨٦ ، مادة (فيأ) ص ٤٨٦ .

(٢) من الآية (٤٨) من سورة (النحل) .

(٣) الغريبين في القرآن والحديث ٥/ ١٤٨٤ .

(٤) تاج العروس مادة (فيأ) ١/ ٢١٣ – ٢١٤ .

(٥) غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٤٥– ٤٦ ، أدب الكاتب له ص ٢٩ – ٣٠ ، الصحاح مادة (فيأ) ١/ ٦٣ ، ٦٤ ، النهاية في غريب الحديث ٣/ ٤٨٣ ، تاج العروس (فيأ) ١/ ٢١٣ – ٢١٤، الكليات لأبي البقاء الكفوي ص ٦٦٩ ، ٦٧٥ .

الفصل الثالث : تعميم الدلالة

قد يصيب بعض الألفاظ التطور الدلالي ، بحيث يصبح عدد المدلولات أكثر مما كانت تشتمل عليه من اللفظة الأولى ، وهو ما يعرف بتعميم الدلالة، وبمعنى آخر : تحويل المدلول الخاص للفظة ما إلى مدلول عام ، غير أن بعض اللغويين ذهب إلى أن هذا اللون " أقل شيوعا في اللغات من تخصيصها ، وأقل أثرا في تطور الدلالات وتغيرها [١] " .

وشبّهه بالأطفال الذين يطلقون اسم الشيء على كل ما يماثله بقوله : " ما نلحظه لدى الأطفال حين يطلقون اسم الشيء على كل ما يشبهه لأدنى ملابسه أو مماثلة ، وذلك لقصور محصولهم اللغوي ، وقلة تجاربهم مع الألفاظ ، فقد يطلق الطفل لفظ (الأب) على كل رجل يشبه أباه في زيّه أو قامته أو لحيته أو شاربه[٢] " .

ويقول د. محمود السعران : " إن تعميم المعنى ضد تخصيصه . فكما رأينا الكلمة التي كانت تدل على أفراد كثيرين ينحصر معناها ، فتدل على فرد واحد منها مثلا ، فكذلك يطرأ على الكلمات التغير المضاد ، فتستعمل الكلمة التي كانت تدل على فرد مثلا للدلالة على أفراد كثيرين أو على طبقة بأسرها[٣] ". ومن ثم نشير إلى بعض أمثلة هذا اللون من التطور الدلالي على النحو التالي :

*** كلمة (البأس) : وضعت في الأصل للحرب ، ثم صارت تطلق على كل شدة ، وكلمة (الورد) تطلق الآن على كل زهر[٤].

---

(١) دلالة ا لألفاظ ص ١٥٥ .

(٢) السابق ص ١٥٤ – ١٥٥ ، في فقه اللغة د. فتحي الدابولي ص ١٥٣ .

(٣) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي د . محمود السعران ص ٢٣١ .

(٤) دلالة الألفاظ ص ١٥٥ ، التطور اللغوي ص ١١٧ .

*** كلمة (الورْد) كانت تستعمل خاصة لإتيان الماء ، ثم أصبح إتيان كل شيء ورْدا .

*** كلمة (الرائد) كانت خاصة بطالب الكلأ ، ثم عُمم ليدل على طالب أي شيء مطلقا .

*** لفظ (النجعة) كان خاصا بطلب الكلأ ومساقط الغيث ، ثم عُمّم - بعد ذلك - ليصبح معناه : طلب أي شيء كلأ أو غيره .

*** لفظ (المنيحة) كانت خاصة بإعارة الناقة أو الشاة إلى شخص ليحصل على لبنها ، ثم اتسع المعنى ليشمل كل عطاء[١] " .

*** لفظ (البستان) : الأصل في هذه اللفظة الارتباط بالأزهار ، فهي تدل في أصلها الفارسي على حديقة الأزهار ، ذات الرائحة العطرة (بو عطر رائحة زكية) ، (ستان مكان) ، ولما انتقلت إلى العربية استعملت بهذا المعنى ، ثم توسع في دلالتها فصارت تطلق على مجتمع الأشجار والنخيل وغيرهما[٢].

ولنا وقفة مع هذا اللون من التطور الدلالي من خلال النماذج التي قدّمها ابن فارس في ضوء كتابه (مجمل اللغة) ، وإن كانت هذه النماذج أقلّ من المظهرين الآخرين ، نجليها في السطور التالية .

حصل (= التحصيل)

يقول ابن فارس : " حصّلت الشيء تحصيلاً ، وأصل التحصيل : استخراج الذهب من حجر المعدن "[٣]. ويؤكد هذا في المقاييس بقوله:" الحاء والصاد واللام أصل واحد منقاس ، وهو جمع الأشياء ... ويقال : حصّلت

---

(١) علم اللغة بين القديم والحديث ص ٢١٣ - ٢١٤ .

(٢) دراسات في الدلالة والمعجم د. رجب عبد الجواد إبراهيم ص ١٠٤ .

(٣) المجمل في اللغة (حصل) ١/ ٢٣٧ .

الشيء تحصيلاً ، وزعم ناس من أهل اللغة أن أصل التحصيل : استخراج الذهب أو الفضة من الحجر ، أو من تراب المعدن ، ويقال لفاعله : المُحَصّل"[١] . ونقل الفيومي [٢] عبارة ابن فارس .

في النص السابق لم يشر ابن فارس إشارة صريحة إلى تطور دلالة لفظ (التحصيل) ، إلا أنه بمقارنة النص بالاستعمالات اللغوية وما أورده اللغويون في هذا الشأن ، يبين أن اللفظ قد اعتراه التطور الدلالي ، إذ عمم معناه وتوسع فيه ، فبعد أن كان الأمر قاصرا على استخراج الذهب والفضة من حجر المعدن ، صار يطلق على جمع الأشياء وتحصيلها من أعمال الحساب ، أو العلم أو الكلام أو ما شابه ذلك .

وفي بيان معنى أصل اللفظ ما ذكره الهروي بقوله : " ويقال للذي يفحص تراب المعدن عن الذهب والفضة : مُحَصّل [٣] " .

إلا أن هذا الأصل قد اعتراه التطور والتغير، يقول الجوهري:" وتحصيل الكلام: رده إلى محصوله[٤]"، وتبعه ابن سيده بقوله: "الحاصل من كل شيء: ما بقي وثبت وذهب ما سواه، يكون من الحساب والأعمال ونحوهما [٥] " .

ويعضد هذا الذي تقدّم من تطور دلالة اللفظ بالتعميم ما ذكره الراغب الأصفهاني بقوله : " التحصيل : إخراج اللب من القشور – كإخراج الذهب من حجر المعدن ، والبر من التبن. قال تعالى : ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾[٦] ،

---

(١) المقاييس (حصل) ٢/ ٨٦ .

(٢) المصباح المنير (حصل) ص ١٣٩ .

(٣) الغريبين في القرآن والحديث ٢/ ٤٥٥ .

(٤) الصحاح للجوهري ٤/ ١٦٦٩ .

(٥) المحكم لابن سيده ٣/ ١٥٠ .

(٦) من الآية (١٠) من سورة (العاديات) .

أي: أظهر ما فيها وجمع ، كإظهار اللب من القشر وجمعه، أو كإظهار الحاصل من الحساب " [١] .

ويفهم مما ذكره الراغب ، أن الشيء كان مدفونا في الأصل قبل استخراجه ، كإخراج اللب من قشره ، ثم تتم عملية جمعه وضمه ، أو إخراج الذهب من موضعه ، ولعل هذا متحقق في الحاصل من الأعمال الحسابية ، أو تحصيل العلم ، أو الكلام ، وتمييز بعضه من بعض .

ونستأنس في ذلك بما ذكره الزمخشري في هذا الصدد بقوله : " وحَصّل المال في يده ، وحصّل العلم ، واجتهد فيما تحَصّل له شيْء . وحصّل تراب المعدن : ميّز الذهب منه وخلّصه ، وحصّل الدقيق بالمحصل، وهو المنخل، وحصّلوا الناس في الديوان : ميّزوا بين شاهدهم وغائبهم وحيّهم وميّتهم" [٢].

وجاء في اللسان مما يؤكد ذلك : " وقال الفراء في قوله تعالى: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي: بُيّن، وقال غيره: مُيِّز، وقال بعضهم: جُمع ... وتحصيل الكلام رده إلى محصوله،.. ابن الأعرابي: الحاصل ما خلص من الفضة من حجارة المعدن ، ويقال للذي يخلصه : مُحَصِّل[٣] ".

وفي ضوء ما ذكره أهل اللغة يمكن القول : أن لفظ (التحصيل) أصابه التطور الدلالي ، إذ كان يحمل - في الأصل - معنى خاصا ، وهو إخراج الذهب والفضة وجمعهما من موضعه ، ثم عمّ اللفظ وتوسّع فيه فصار التحصيل يطلق على كل ما يستخرج من أعمال الحساب ، وتحصيل العلم ونحوهما .

ولا يخفى أن مرد التطور - هنا - هو الاستعمال المجازي لعلاقة

---

(١) المفردات ص ١٧٤ .

(٢) أساس البلاغة (حصل) ١/ ١٧٩ .

(٣) لسان العرب مادة (حصل) .

المشابهة بين المعنى الأصلي (استخراج الذهب والفضة من موضعه) وبين ما استعمل فيه اللفظ من تحصيل أي شيء من حساب وعلم وكلام وغير ذلك ، وإن كان ابن فارس - في هذا الصدد - اقتصر على بيان معنى الأصل ، ولم يبيّن تطوره كما أشار إليه بعض علماء اللغة ، وهذا ما آلت إليه دلالة هذا اللفظ .

حصن (= الحصان)

يقول ابن فارس : " والحصان : الفرس العتيق ، ذكر ناس أنه سمي حصانا لأنه ضن بمائه فلم يَنْزُ إلا على كريمة ، ثم كثر ذلك حتى سموا كل ذكر من الخيل حصانا " [١].

في النص السابق أشار ابن فارس إشارة جلية لتطور دلالة لفظ (الحصان)، إذ قصر فيه من معنى الأصل (الفرس العتيق) إلى المعنى العام: وهو الخيل (الكريم الرائع الذي بلغ النهاية في الجودة والحُسن) ، حتى صار هذا اللفظ مستعملا لكل ذكر من الخيل ، وإن لم يكن عتيقا .

وفي بيان معنى الأصل يقول ابن سيده : " والحصان : الفحل من الخيل ... قال ابن جني قولهم : فرس حصان مشتق من الحصانة ، لأنه مُحرزٌ لفارسه[٢] "، وأكد الإمام الرازي المعنى السابق بقوله : " والحصان بالكسر: الفرس الفحل ، لمنعه صاحبه من الهلاك[٣] " .

واتفق - مع ابن فارس - بعض علماء اللغة في بيان معنى الأصل والتطور الدلالي للفظ (الحصان) ، يقول ابن دريد : " وفرس حصان (بكسر الحاء) : إذا ضَنّ بمائه فلم ينز إلا على كريمة ، ثم كثر ذلك في

---

(١) مجمع اللغـــة (حصن) ١/ ٢٣٧ .

(٢) المحكم لابن سيده (حصن) ٣/ ١٥٤ .

(٣) مفاتيح الغيب للرازي ١٠/ ٣٢ .

كلامهم حتى سموا كل ذكر من الخيل حصانا [١] " وكذلك قال الجوهري[٢] ، وابن منظور[٣].

أما الفيومي فكانت إشارته واضحة للتطور الدلالي للفظ (الحصان) حيث وضع قيدا لذلك فكان أحوط عن سبقه فيقول : " والحصان بالكسر : الفرس العتيق ، قيل : سمي بذلك لأن ظهره كالحصن لراكبه ، وقيل : لأنه ضنُن (أي بخل وأمسك) بمائه فلم ينز إلا على كريمة ، ثم كثر ذلك حتى سمي كل ذكر من الخيل حصانا ، وإن لم يكن عتيقا " [٤] .

وصفوة القول : أن ابن فارس جاء موافقا لما ذهب إليه اللغويون في بيان التطور الدلالي لهذا اللفظ ، إذ قصر فيه من المعنى الخاص (الفرس العتيق) إلى تعميم اللفظ والتوسع فيه ، وهو إطلاقه على كل ذكر من الخيل حصانا ، وإن لم يكن عتيقا .

ومرد التطور هو الاستعمال المجازي لعلاقة المشابهة بين أصل وضع اللفظ وبين ما استعمل فيه على جهة التعميم ، وهو ما آلت إليه دلالة هذا اللفظ .

حلل (= تحليل)

يقول ابن فارس : " وحللت اليمين . وفعلت هذا تحلّة القسم ، أي : لم أفعل إلا بقدر ما حلّلت به يميني ولم أبالغ ، وفي الحديث : لا يموت للمؤمن ثلاثة أولاد فتمسه النار إلا تحلّة القسم . قال ناس من أهل التأويل : يريد : تحلة قوله : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلا وَارِدُهَا ﴾[٥] ، يقول : لا يمسه من النار إلا

---

(١) جمهرة اللغة لابن دريد (حصن) ٢/ ١٦٥ .
(٢) الصحاح مادة (حصن) ٣/ ٢١٠١ .
(٣) لسان العرب مادة (حصن) .
(٤) المصباح المنير مادة (حصن) ص ١٣٩ .
(٥) من الآية (٧١) من سورة (مريم) .

قدر ما يبر الله – جل ثناؤه – قسمه فيه ، ثم كثر حتى قيل لكل شيء لم يبالغ فيه تحليل ، يقال : ضربته تحليلا ، ووقعت مناسم هذه الناقة تحليلا إذا لم يُبالَغْ في ذلك[١] " .

في النص السابق أشار ابن فارس إشارة واضحة إلى التطور الدلالي في لفظ (تحليل) ، ومعنى الأصل : أن يحلف على شيء ، ثم يستثنى الحالف مقدار ما حلّل به قسمه دون مبالغة ، أما تطور اللفظ فيتمثل ذلك في كل شيء لم يبالغ فيه .

وهذا ما حدا علماء اللغة أن يوضحوا المعنى الأصلي ، يقول الراغب : " وروى : لا يموت لرجل ثلاثة أولاد فتمسه النار إلا قدر تحلّة القسم ، أي قدر ما يقول إن شاء-الله تعالى[٢] : " وفي بيان اللفظ المتطور يذكر الزبيدي: " وتحلّة القسم تحليليها ، وضربه ضَرْبًا تحليلا ، أي : غير بالغ[٣] " .

ووافق ابن فارس طائفة من اللغويين في بيان معنى الأصل والتطور الدلالي الذي اعترى هذا اللفظ ، يقول الجوهري : " والتحليل : ضد التحريم . تقول : حلّلته تحليلاً وتحلّة ... وقولهم : ما فعلته إلا تحلّة القسم ، أي : لم أفعل إلا بقدر ما حلّلت به يميني ولم أبالغ ... ثم قيل لكل شيء لم يبالَغْ فيه : تحليل [٤] " .

وجعل ابن الأثير التطور مثلا يضرب للشيء القليل المفرط في القلة ، فيقول: " تقول العرب : ضربه تحليلاً وضربه تعذيراً : إذا لم يبالغ في ضربه ، وهذا مثل في القليل المفرط في القلة ، وهو أن يباشر من الفعل

---

(١) المجمل في اللغة (حلل) ١/ ٢١٧ .

(٢) المفردات ص ١٨٣ .

(٣) مختصر العين للزبيدي ١/ ٢٣٦ .

(٤) الصحاح للجوهري (حلل) ٤/ ١٦٧٤ – ١٦٧٦ .

الذي يُقسم عليه المقدار الذي يُبرّ قسمه ، مثل أن يحلف على النزول بمكان ، فلو وقع به وقعه خفيفة أجزأته ، فتلك تحلّة قسمه[١] " .

ويؤكد الهروي المعنى الذي ساقه ابن فارس وغيره في بيان معنى الأصل والتطور بقوله : " ومعنى قوله : " إلا تحلّة القسم " إلا التعذير الذي لا ينداه مكروه منه ، وأصله من قول العرب : ضربه تحليلا وضربه تعذيراً: إذا لم يبالغ في ضربه ، وأصله في تحليل اليمين ، وهو أن يحلف ، ثم يستثنى استثناء متصلاً ، ثم جعل ذلك مثلا لكل شيء يقلّ وقته[٢] " .

وفي المصباح : " وفعلته تحلّة القسم ، أي : بقدر ما تحلّ به اليمين ، ولم أبالغ فيه ، ثم كثر حتى قيل لكل شيء لم يبالغ فيه : تحليل[٣] " .

ومن ثم : فإن معنى الأصل (تحليل) هو الحلف على شيء لم يُفْعل إلا بمقدار ما يُحلّل به القسم دون مبالغة فيه ، ثم عُمم اللفظ وتوسع فيه فاستعمل لكل شيء لم يبالغ فيه ، ومرد التطور هو الاستعمال المجازي لعلاقة المشابهة بين معنى الأصل ، وبين ما استعمل فيه اللفظ ، وهو ما آلت إليه دلالة هذا اللفظ.

رمم (= رمة)

يقول ابن فارس : " وتقول : ادفعه إليه برمته ، أي : كله . ويقال : إن أصله أن رجلا باع آخر بعيرا بحبل في عنقه ، فقيل : ادفعه إليه برمّته[٤] ويؤكد ذلك في المقاييس بقوله : " ومن ذلك قولهم : ادفعه إليه برمته . ويقال: أصله أن رجلا باع آخر بعيرا بحبل في عنقه ، فقيل : ادفعه

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٤٢٩ – ٤٣٠ ، اللسان مادة (حلل) .

(٢) الغريبين في القرآن والحديث ٢/ ٤٨٤ – ٤٨٥ .

(٣) المصباح المنير مادة (حلل) ص ١٤٨ .

(٤) المجمل في اللغة (رمم) ٢/ ٣٦٩ .

إليه برمته ، وكثر ذلك في الكلام فقيل لكل من دفع إلى آخر شيئا بكماله ، دفعه إليه برمته، أي : كله[١] " .

أشار ابن فارس إشارة واضحة إلى تطور دلالة قولهم: " ادفعه إليه برمته" إذ إن معنى الأصل : أن رجلا باع بعيرا بحبل في عنقه " ، ثم قيل ذلك لكل شيء دُفع ولم يَنْقُصْ ، فدُفع بتمامه وكماله ، وما أورده اللغويون في هذا الصدد ينتظم مع ما ذكره ابن فارس .

وفي بيان معنى اللفظ المتطور . يقول الراغب الأصفهاني : " وقولهم: ادفعه إليه برمته معروف "[٢] ، غير أنه لم يفسره ولم يوضحه ، ربما ذلك لجلائه وشهرته .

غير أن هناك من علماء العربية من ذكر معنى الأصل والتطور كصنيع ابن فارس ، يقول ابنَ قتيبة : " ويقولون : " ادفعه إليه برمته " . وأصله أن رجلا دفع إلى رجل بعيرا بحبل في عنقه ، والرُّمّة : الحبل البالي ، فقيل ذلك لكل من دفع شيئا بجملته لم يحتبس منه شيئا ، يقول : ادفعه إليه برمته ، أي كله ، وهذا المعنى أراد الأعشى في قوله للخمّار :

فقلت له هذه هاتهـــا بأدماء في حبل مقتادهـــا

أي : بعني هذه الخمر بناقة برمّتها[٣] " .

وهذا ما نص عليه الجوهري - أيضا - بقوله : " ومنه قولهم : دفع إليه الشيء برمّته . وأصله أن رجلا دفع إلى رجل بعيرا بحبل في عنقه ، فقيل ذلك لك لمن دفع شيئا بجملته[٤] " .

---

(١) المقاييس (رمم) ٢/ ٣٧٩ .

(٢) المفردات في غريب القرآن ص ٢٩٥ ، جمهرة اللغة لابن دريد (رمم) ١/ ٨٨ .

(٣) غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٤٢ .

(٤) الصحاح (رمم) ٥/ ١٩٣٧ ، أساس البلاغة للزمخشري (رمم) ١/ ٣٧٣ .

أما ابن سيده فوافق ابن فارس في معنى الأصل ، ثم ذكر أصلا آخر وهو أن يؤتى بأسير مشدود بحبل ، ووصفه بأنه ليس بقوي ، فيقول : " الرِّمّة : القطعة من الحبل ... وأخذه برُمّته ، أي : بجماعته ، وأخذه برُمته: أي : اقتاده بحبله ، وأتيتك الشيء برمته ، أي : كله ، وقيل أصله : أن تأتي بالأسير مشدودا برمته ، وليس بقوى[١] " .

وإذا كان ابن سيده اعتد الأصل الآخر بأنه ليس بقوي فإن ابن الأثير جعله أصلاً ، وذكر تطور دلالة اللفظ كسابقيه من اللغويين فيقول : " ومنه حديث علي " إن جاء بأربعة يشهدون ، وإلاّ دُفع إليهُ برمته " . الرُّمّة بالضم : قطعة حبل يشد بها الأسير أو القاتل إذا قيد إلى القصاص : أي يُسلّم إليهم بالحبل الذي شُدّ به ، تمكينا لهم منه لئلا يهرُبَ ، ثم اتسعوا فيه حتى قالوا : أخذت الشيء برمّته : أي كله[٢] " .

وفي اللسان جعل ابن منظور معنى اللفظ المتطور (أخذ الشيء برمته) يتراوح بين أمرين :

أحدهما : أن الرّمة قطعة حبل يشد بها الأسير - كما ذكر ابن سيده وابن الأسير- أو القاتل إذا قيد إلى القتل للقود ، وقول عليّ يدل على هذا ....

والآخر : أخذت الشيء تاما كاملا ، لم ينقص منه شيء ، وأصله البعير يشد في عنقه حبل ، فيقال : أعطاه البعير برمته[٣] . وأشار إلى ذلك أيضاً الهروي[٤].

---

(١) المحكم لابن سيده (رمم) ١٠ / ٢٤٤ - ٢٤٥ .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٢٦٧ .

(٣) لسان العرب مادة (رمم) .

(٤) الغريبين في القرآن والحديث ٣/ ٧٨٢ .

ويرجح البحث أن الأصل الآخر هو الأقرب إلى الصواب ، وهو بيع البعير بحبل في عنقه ، وهذا ما نادى به معظم أئمة اللغة ، كما أن الحبل يتلاءم مع البعير وليس مع الأسير أو القاتل ، بالإضافة إلى أن ابن سيده وصف الأول بعدم القوة .

ويقرر الفيومي معنى الأصل والتطور الدلالي بقوله : " والرُّمة بالضم : القطعة من الحبل ... وأخذت الشيء برمته ، أي : جميعه ، وأصله أن رجلا باع بعيراً وفي عنقه حبل ، فقيل : ادفعه برمّته ، ثم صار كالمثل في كل ما لا ينقص ولا يؤخذ منه شيء[١] " .

وفي ضوء ما ذكرناه يتضح أن ابن فارس وافق السابقين والخالفين بعده في دلالة لفظ " ادفعه إليه برمته " ، إذ إنه قصر فيه من استعمال خاص (بيع البعير بحبل) إلى معنى عام (دفع الشيء بتمامه وكماله دون نقص) ، ومرد التطور – هنا – هو الاستعمال المجازي لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي وبين ما استعمل فيه اللفظ على جهة العموم .

شذب (= الشّذب)

يقول ابن فارس : " الشَّذب : قشر اللحم ، وكل شيء نَحّيته عن شيء فقد شذبته[٢] " ، ويؤكد هذا في المقاييس فيقول : " الشين والذال والباء أصل يدل على تجريد شيء من قشره ... فالشَّذْب : قشر اللحم . وكل شيء نحيته عن شيء فقد شذبته [٣] " .

في النص السابق إشارة واضحة إلى دلالة تطور لفظ (الشذب) ، إذ قصر فيه من معنى الأصل وهو قشر اللحم ، ثم عُمّم المعنى ، فأصبح يطلق

---

(١) المصباح المنير مادة (رمم) ص ٢٤٠ .
(٢) المجمل في اللغة (شذب) ٢/ ٥٢٥ .
(٣) المقاييس (شذب) ٣/ ٢٥٨ .

على كل شيء صُرف أو أزيل عن آخر .

ولكي تتضح صورة دلالة التطور نفرد مساحة لما ذكره أئمة اللغة في بيان معنى الأصل الذي يتراوح بين التفريق والقطع والإزالة ، يقول ابن قتيبة: " وأصل التشذيب : التفريق ، يقال : شذّبت المال : إذا فرّقته[١] ". ويقول المبرد : " وكل مشذب مقطوع ... وأصل التشذيب : القطع[٢] " .

وقريب من المعنى السابق ما ذكره ابن الأثير بقوله : " وفي صفته ﷺ " أقصر من المُشذّب " هو الطويل البائن الطويل مع نقص في لحمه . وأصله من النخلة الطويلة التي شُذّب عنها جريدها : أي قطع وفُرّق[٣] " .

وأيا ما كان الأمر فإن معنى التفريق والقطع قريب من معنى القشر ، ذلك أن القشر مظنة للتفريق والقطع ، والمعاني في كل منها متقاربة .

إلا أن هذا الأصل قد اعتراه التطور الدلالي ، فأصبح يطلق على كل شيء نحيته عن آخر وهذا ما أشار إليه الجوهري بقوله : " وجِذْع مُشَذّب ، أي : مقشر ... والشاذب المتنحي عن وطنه[٤] " .

وفي اللسان : " الشَّذْب : قطع الشجر ، وهو أيضاً قشر الشجر ... وكذلك كل شيء نُحّي عن شيء فقد شذب عنه ... والتشذيب : التفريق والتمزيق في المال ونحوه ... وكل شيء تفرّق شُذّب[٥] " .

وهذا ما نبّه عليه أيضاً صاحب المصباح ، وعبارته : " الشَّذَب

---

(١) غريب الحديث لابن قتيبة ١/٢٠٥، وينظر كذلك : جمهرة اللغة لابن دريد (شذب) ١/٢٥١ ، أساس البلاغة للزمخشري (شذب) ١/ ٤٨٣ .

(٢) الكامل في اللغة والأدب للمبرد ١/ ١٤١ ، مختصر العين للزبيدي ٢/ ١٢٥ .

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٤٥٣ ، الغريبين في القرآن والحديث ٣/ ٩٨٠ .

(٤) الصحاح للجوهري (شذب) ١/ ١٥٢ - ١٥٣ .

(٥) لسان العرب مادة (شذب) .

بفتحتين : ما يُقطع من أعضاء الشجر المتفرقة ، وقيل : الشذب : الشوك والقشر ... وشذّبت بالتثقيل مبالغة وتكثير ، وكل شيء هذّبته بتنحيه غيره عنه فقد شَذّبته [١] " .

ومعنى ذلك : أن لفظ (الشذب) قد عُمم معناه وتوسع فيه من معنى القشر والإزالة والنزع إلى كل شيء صرفته وأزلته ومزقته ، وهذا ما أورده اللغويون في هذا الصدد ، ومرد التطور الدلالي - هنا - هو الاستعمال المجازي لعلاقة المشابهة بين قشر اللحم خاصة وبين كل شيء يمزّق أو يُقْطع أو يفرّق ، والجامع بينهما هو الإزالة والصرف ، وهو ما آلت إليه دلالة هذا اللفظ .

عقر (= عقيرة)

يقول ابن فارس : " وعقيرة الرجل : صوته إذا قرأ أو غَنّى . ويقال : إن أصله أن رجلا قُطعت إحدى رجليه فرفعها وصرخ ، فقيل بعد : لكل رافع صوته قد رفع عقيرته[٢] " ، ويضيف في المقاييس : " والعقيرة : هي الرِّجل المعقورة ، ولما كان رفع الصوت عندها سمي الصوت بها[٣] " .

يقرر ابن فارس صراحة أن لفظ (عقيرة) أصابه التطور الدلالي ، فبَيّن معنى الأصل وهو (أن رجلا قُطعت إحدى رجليه ، فصاح من شدة الألم بأعلى صوته) فعُمِّم هذا الأصل وتوسع فيه فصار يطلق على كل رافع صوته بالغناء أو البكاء أو القراءة حتى صُيّر الصوت بذلك عقيرة .

وما حوته بطون معجمات اللغة يبين أن اللفظ قد اعتراه التطور الدلالي على جهة التعميم ، يقول ابن دريد : " ورفع فلان عقيرته يتغنى ،

---

(١) المصباح المنير (شذب) ص ٣٠٧ .

(٢) المجمل في اللغة (عقر) ٣/ ٦٢٢ .

(٣) المقاييس (عقر) ٤/ ٩٣ .

وأصل ذلك فيما ذكره ابن الكلبي : أن رجلا قطعت رجله ، فرفع المعقورة ، ووضعها على الصحيحة ، وأقبل يبكي ، فصار كل من رفع صوته متغنيا أو باكيا فقد رفع عقيرته[١] " . وهذا ما نص عليه الجوهري[٢] أيضاً .

وابن سيده - أيضا - يؤكد ما ذكره ابن فارس بقوله : " وعقيرة الرجل: صوته إذا غنّى أو بكى أو قرأ . وقيل : أصله أن رجلا عُقرت رجله ، فوضع العقيرة على الصحيحة ، وبكى عليها بأعلى صوته ، فقيل : رفع عقيرته ، ثم كثر ذلك حتى صُيّر الصوت بالغناء عقيرة[٣]." .

وهذا ما نبه عليه الراغب الأصفهاني من خلال قوله : " فقولهم : رفع فلان عقيرته : أي صوته ، فذلك أن رجلا عقر رجله فرفع صوته ، فصار ذلك مستعارا للصوت[٤] " ، واتفق معه في ذلك ابن الأثير[٥] ، وابن منظور[٦] ، والزبيدي [٧] ، والسيوطي[٨] .

وفي ضوء ما ذكره اللغويون وابن فارس كذلك ، يتضح أن معنى أصل لفظ (عقيرة) هي الرِّجْل المقطوعة ، وبسبب ذلك أخذ صاحبها يصيح بأعلى صوته من شدة الوجع والألم ، فعُمّم معناه وتُوسع فيه ، فصار يطلق على كل رافع صوته بالغناء والبكاء والقراءة ، وسر التطور - هنا - هو

---

(١) جمهرة اللغة لابن دريد (عقر) ٢/ ٣٨٣ .

(٢) الصحاح للجوهري (عقر) ٢/ ٧٥٤ .

(٣) المحكم لابن سيده (عقر) ١/١٨٤- ١٨٥، وينظر: الصاحبي لابن فارس ص١١٢ .

(٤) المفردات للراغب الأصفهاني ص ٥١١ .

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٢٧١ - ٢٧٣ .

(٦) لسان العرب مادة (عقر) .

(٧) تاج العروس مادة (عقر) ٧/ ٢٤٨ - ٢٥٠ .

(٨) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ١/ ٤٢٩ .

الاستعمال المجازي لعلاقة المشابهة بين المعنى الخاص لأصل اللفظ ، وبين ما استعمل فيه اللفظ بمعناه العام ، غير أنه لما كان رفع الصوت عند الرّجل المقطوعة سمي الصوت بها ، وهو ما آلت إليه دلالة هذا اللفظ .

عـور (= العـورة)

يقول ابن فارس : " والعورة : سوأة الإنسان ، وكل شيء يستحيا منه عورة[١] " .

أشار ابن فارس إلى تطور دلالة لفظ (العورة) ، وأصل موضعه (سوأة الإنسان) ، وهي عند الرجل ما بين سرته وركبته ، أما المرأة فكلها عورة ما عدا الوجه والكفين ، فعُمِّم هذا اللفظ وأصبح يطلق على كل شيء يستحيا منه إذا ظهر من قول أو فعل أو عيب أو خلل أو نحو ذلك .

ويقرر غير واحد من اللغويين ذلك الأصل الذي تلمسه ابن فارس ، يقول ابن دريد : " وعورة الإنسان : ما تحت إزاره[٢] " ، ويؤكد ذلك الطبري عند تعليقه على قوله تعالى : ﴿ يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ ﴾[٣] : " أي : يستر عوراتكم عن أعينكم ، وكُنّي بالسوآت عن العورات . واحدتها سوأة ، وهي فعلة من السوء، وإنما سميت سوأة، لأنه يسوء صاحبها انكشافها من جسده " كما قال الشاعر:

خرقوا جَيْبَ فَتَاتِهِـــــمْ لم يُبالوا سوأة الرَّجُلَـــه[٤]

والراغب الأصفهاني – أيضاً – يقول : " والعورة : سوأة الإنسان ، وذلك كناية – وأصلها من العار – وذلك لما يلحق في ظهوره من العار –

---

(١) المجمل في اللغة (عور) ٣/ ٦٣٦ .

(٢) جمهرة اللغة (عور) ٢/ ٣٩٠ .

(٣) من الآية (٢٦) من سورة (الأعراف) .

(٤) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ٨/ ١٠٨ .

أي : المذمة[١] " ، وهذا ما نبه عليه أبو البقاء الكفوي [٢] أيضاً .

إلا أن هذا الأصل قد اعتراه التطور الدلالي فأصبح كل ما يُستحيا منه عورة ، يعضد ذلك الجوهري بقوله : " العورة : سوأة الإنسان ، وكل ما يستحيا منه ... والعورة كل خلل يتخوَّف منه في ثغر أو حرب [٣] " .

وهو ما عبر عنه ابن سيده بقوله : " والعورة الخلل في الثغر وغيره ... والعورة : كل مكمن للستر ، وعورة الرجل والمرأة سوأتهما ... وكل أمر يستحيا منه عورة[٤] " .

ولا شك أن الخلل في ثغرة أو حرب يعد عيبا يظهر الأمر للأعداء لينالوا من الفتك بهم .

وفصّل القول ابن الأثير في بيان معنى الأصل والتطور الدلالي بقوله : "العوْرات : جمع عورة ، وهي كل ما يستحيا منه إذا ظهر ، وهي من الرجل ما بين السُّرّة والركبة ، ومن المرأة الحرة جميع جسدها إلا الوجه واليدين إلى الكوعين ... وكل عيب وخلل في شيء فهي عورة[٥] " .

والفيومي يقرر تأكيدا لما سبق بقوله : " وقيل للسوأة : عورة ، لقبح النظر إليها ، وكل شيء يستره الإنسان أنَفَةً وحياءً فهي عورة ... والعورة في الثغر والحرب : خلل يُخاف منه[٦] " .

ومن خلال ما سبق يمكن القول : أن ابن فارس كان موافقا للغويين في

---

(١) المفردات للراغب الأصفهاني ص ٥٢٦ .

(٢) الكليات لأبي البقاء الكفوي ص ٦٤٤ .

(٣) الصحاح مادة (عو) ٢/ ٧٥٩ – ٧٦١ ، الفائق في غريب الحديث للزمخشري ٣٨/٣.

(٤) المحكم لابن سيده (عور) ٢/ ٣٤٤ .

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٣١٨ ، لسان العرب مادة (عور) .

(٦) المصباح المنير مادة (عور) ص ٤٣٧ .

التطور الدلالي في لفظ (العورة) ، إذ قصر فيه من المعنى الأصلي (سوأة الإنسان ، ويقصد بها فرج الرجل والمرأة) إلى معنى عام ، فأصبح يطلق على كل شيء يستحيا منه من قول أو فعل أو ما شابه ذلك ، كالعيب والخلل، وهو منفرج ما بين كل شيئين في عمل شائن ، ولعل مرد التطور - هنا - هو الاستعمال المجازي لعلاقة بين المعنى الأصلي للعورة (سوأة الإنسان) وبين ما استعمل فيه اللفظ بمعنى(كل ما يستحيا منه) ، وهو ما آلت إليه دلالة هذا اللفظ.

لمس (= الملتمس)

يقول ابن فارس : " تلمست الشيء : تَطَلّبته بيديك ، قال ابن دريد : اللمس أصله باليد ، ليُعرف مس الشيء ، ثم كثر حتى صار كل طالب مُلْتَمِسًا[١]".

يشير ابن فارس إشارة جلية إلى تطور دلالي في لفظ (اللمس) ، وأصل وضعه باليد كالمس والجس ، ثم عُمّم معناه فصار بمعنى الطلب ، وتبعه في ذلك لفيف من علماء اللغة ، يقول الجوهري : " اللمس : المس باليد ... ويكنى به عن الجماع ، وكذلك الملامسة والالتماس : الطلب . والتلمُّس : التطلّب مرة بعد أخرى[٢] " ، وإشارة ابن سيده تقرر ذلك من خلال قوله : " اللمس : الجسّ ... والتمس الشيء وتلمّسه : طلبه[٣] " . والجس واللمس معنيان متقاربان ، أي اللمس باليد ، وقد يكون ذلك نوعا من التنقيب والتفتيش عن بواطن الأمور .

والراغب الأصفهاني يقول أيضاً : " اللمس : إدراك بظاهر البشرة كالمس ويعبر به عن الطلب[٤] " ، وأكد ذلك ابن الأثير بقوله : " ومنه

---

(١) المجمل في اللغة (لمس) ٣/ ٧٩٤ .

(٢) الصحاح للجوهري (لمس) ٣/ ٩٧٥ .

(٣) المحكم لابن سيده (لمس) ٨/ ٥٢٠ .

(٤) المفردات ص ٦٨٧ .

الحديث " من سلك طريقا يلتمس فيه علما " أي : يطلبه ، فاستعار له اللمس[١] " .

وجاء في المصباح نقلا عن ابن دريد وغيره : " أصل اللمس باليد ، لعيرف مس الشيء ، ثم كثر ذلك حتى صار اللمس لكل طالب[٢] " .

وفصّل القول أبو البقاء الكفوي في بيان معنى أصل اللمس ، وتوضيح التطور الدلالي الذي اعترى الأصل بقوله : " اللمس هو لصوق بإحساس ، والمس : أقل تمكّنا من الإصابة وهو أقل درجاتها . واللمس أعم مما هو باليد، كما هو المفهوم من الكتب الكلامية ، والتماس باليدُ ، كما هو المتبادر من كتب اللغة ، فقوله تعالى : ﴿ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴾[٣] " أي : فمسوه ... واللمس قد يقال لطلب الشيء وإن لم يوجد[٤] " .

وصفوة القول : أن لفظ (اللمس) أصابه التطور الدلالي ، إذ قصر فيه من المس باليد خاصة ، ثم عُمم معناه فصار يطلق على كل من يطلب شيئا ، أو محاولة وجدان الشيء وأخذه ، أو مطالبة إنسان بحق لك عنده.

ومرد التطور – هنا – هو الاستعمال المجازي لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي الخاص (المس باليد) وبين ما عُمّم فيه المعنى (تطلّب الشيء أي شيء وإمكان رده) ، وهو ما آلت إليه دلالة هذا اللفظ .

*****

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٢٧٠ ، لسان العرب مادة (لمس) .

(٢) المصباح المنير مادة (لمس) ص ٥٥٨ ، تاج العروس مادة (لمس) ٨/ ٤٦٤ – ٤٦٦ .

(٣) من الآية (٧) من سورة (الأنعام) .

(٤) الكليات ص ٧٩٩ .

الفصل الرابع : انتقال الدلالة

سبق أن قدّم البحث عرضا عن تخصيص الدلالة أو تضييقها ، وعن تعميمها أو توسيعها ، أما مظهر انتقال الدلالة فليس من قبيل السابقيْن ، إذ يتم فيه : " انتقال المعنى إلى معنى مغاير لمعناه القديم ، فيعد أجنبيا ، ويعد هذا في إطار علاقة تسوغ الانتقال ، فليس معنى أنه أجنبي عدم وجود مناسبة بين المعنيين ، ولكن اعتباره أجنبيا مبني على عدم اشتراكهما في الفكرة الأساسية التي تتحول من العموم إلى الخصوص ، كالصورتين السابقتين[١] " .

لذا : يفهم مما سبق أن المعنيين متساويان أو متعادلان ، وليس أحدهما أوسع من الآخر ، أو أضيق منه ، ومن أمثلته : " استعمال كلمة (الشجرة) بمعنى النخلة ، والطير بمعنى الذباب ، والوغي بمعنى الحرب ، وأصلها اختلاط الأصوات في الحرب ، وما إلى ذلك[٢] " .

فالعلاقة بين المعنى القديم والمعنى الجديد قائمة على الاستعمال المجازي (المجاز المرسل والاستعارة) ، حيث يتغير مجال الاستعمال ، ويعني به استعمال اللفظ في معنى مجازي يصبح مع طول العهد به حقيقيا ، فالوغى معناها الحقيقي : اختلاط الأصوات في الحرب ، ثم أطلق على الحرب نفسها على سبيل المجاز ، وشاع استعماله فيها حتى أصبح حقيقة في هذا المعنى الجديد ، بعد أن كان مجازاً فيه .

ومن أمثلة ذلك أيضاً يذكر بعض اللغويين أن : " النافقاء : إحدى جحور اليربوع التي يستطيع بهذا الحيوان أن يفلت من صائده ، وقد اشتقت منها - بعد الإسلام - كلمة (المنافق) : لمن يظهر خلاف ما يبطن ، والعلاقة متحققة في التشابه بين المعنى القديم والمعنى الجديد . وكلمة

---

(١) علم اللغة بين القديم والحديث د. عبد الغفار هلال ، ص ٢٢٨ .

(٢) التطور اللغوي . د. رمضان عبد التواب . ص ١١٨ .

(الغيث) تستعمل – في الأصل – للمطر ، وقد استعملت للبنات الذي ينشأ عن المطر مجازا ، فيقال : رعْينا الغيث ، والعلاقة السببية[١] ".

ومن الكلمات التي تغيرت دلالاتها بطريق النقل كلمة (الشنب) التي كانت تعني في القديم جمال الثغر وضياء الأسنان ، وهي في الاستعمال الحديث بمعنى الشارب . وكلمة (السفرة) التي كانت تعني الطعام الذي يصنع للمسافر ، وهي في الاستعمال الحديث : المائدة وما عليها من الطعام . وكان (طول اليد) كناية عن السخاء فأصبح يوصف بها السارق[٢] " .

وعرفت اللغات الأخرى هذا اللون من التطور الدلالي ، إذ يذكر استيفن أولمان ذلك بقوله : " الكلمة الإنجليزية Style أسلوب ، ترجع إلى كلمة لاتينية معناها : (آلة مستدقة الرأس) تستعمل للكتابة ، وتظهر صورتها المصَغرة في الكلمة الإيطالية Stiletto ثم حدث أن خلعت الآلة اسمها على نوع من الوظائف التي تقوم بها ، ومن الواضح أن المدلولين ليسا من باب واحد، ومن ثم لا يمكن الموازنة بينهما من حيث مدى انتشار كل منهما[٣]".

ونشير في السطور التالية مزيدا من البيان والتحليل في ضوء ما ذكره ابن فارس من نماذج انتقال الدلالة من خلال كتابة (المجمل في اللغة) .

أسر (= أسير)

يقول ابن فارس : " الأسير معروف ، وكانوا يشدونه بالقِدّ ، وهو الأسْرُ ، فسمى كل أخيذ وإن لم يؤسر به أسيراً " [٤].

---

(١) علم اللغة بين القديم والحديث . د. عبد الغفار هلال ص ٢٢٨ .

(٢) دلالة الألفاظ د. إبراهيم أنيس ص ١٢٦ .

(٣) دور الكلمة في اللغة – استيفن أولمان – تعليق د. كمال بشر ص ١٨١ .

(٤) المجمل في اللغة (أسر) ١ / ٩٧ .

يفهم من خلال النص السابق لابن فارس أن هناك تطورا دلاليا واضحا، إذ انتقل فيه المعنى من أخذ الأسير مشدودا أو مقيدا بحبل ، أو سَيْر مصنوع من جلد غير مدبوغ (تشد به الأقتاب كشد قتب البعير) لئلا يفلت أو يهرب ، فكأنه ممنوع من ذلك أو محبوس ، وهذا المعنى نص عليه ابن فارس في المقاييس بقوله : " الهمزة والسين والراء أصل واحد ، وقياس مطرد ، وهو الحبس ، وهو الإمساك ، من ذلك : الأسير ، وكانوا يشدونه بالقد وهو الإسار ، فسمى كل أخيذ وإن لم يؤسر به أسيرا "(١).

إلا أن هذا الأصل قد اعتراه التطور الدلالي فصار يطلق على كل أخيذ أومأسور ، وإن لم يكن مشدوداً أو مقيداً بحبل ، وفي بيان معنى الأصل يقول الخليل بن أحمد : " أسر فلان فلانا : شدّه وثاقا .. قال الله عز وجل : " وشددنا أسرهم(٢) " ، وكل شيئين مما يبين طرفاهما ، فتشد أحدهما بالآخر برباط واحد فقد أسرتهما " (٣).

وفي مختصر العين : " أسرت الرجل : شددته بالإسار والقد ... ورجل مأسور : شديد ، وكل ما شددت من رحل أو سرج وغيرهما فقد أسرته ... وأُسر بوله أسْراً : إذا احتبس " (٤).

ويؤيد الهروي معنى الأصل عند تعليقه على قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ﴾ أي : خلقهم . وسمى الخَلْقُ أسْراً ، لأن بعضه مشدود إلى بعض . والأسر : الشدّ والحبس ... والأَسْرة : القِدُّ ، ويقال : ما أحسن ما أسر قتبه : أي شدّه ، وفي الحديث : " كان داود – عليه السلام

---

(١) المقاييس (أسر) ١ / ١٠٧ .

(٢) من الآية (٢٨) من سورة (الإنسان) .

(٣) العين للخليل بن أحمد ٧ / ٢٩٣ – ٢٩٤ .

(٤) مختصر العين للزبيدي ٢ / ٢٢٦ .

– إذا ذكر عقاب الله عز وجل تخلّعت أوصاله ، لا يشدها إلا الأَسْرُ " أي : العصب والشد"[١]، ومعنى العصب قريب من معنى الشد، وهو الطيّ واللّيّ.

ويكد ذلك بعضهم بقوله : " القِدّ (بالكسر والتشديد) : إناء من جلد ، والسوط والسيرُ بقد من جلد غير مدبوغ، يخصف به النعل ويقيد به الأسير" [٢].

أما بيان المعنى الجديد وهو المتبادر إلى الذهن فيتمثل في قول ابن قتيبة : الأسر : أن يُعْصب ، يقال : ما أحسن ما أسر قتبه ، أي : ما أحسن ما شد قتبه ، وإنما قيل للأخيد : أسير من هذا ، لأنه إذا أُخِذ أسر ، أي شدّ بالقد "[٣].

ويعضد ذلك الأصل والتطور الدلالي ابن السكيت بقوله : " قال الأصمعي : وأصل الأسير أنه ربط بالقدّ فأسره ، أي : شدّه ، فاستعمل حتى صار الأخيذ الأسير " [٤].

وابن دريد – كذلك – يبين معنى الأصل والتطور الدلالي ، غير أنه لم يفسره تفسيرًا دقيقا فيقول : " والإسار والأسر : القدّ الذي يشدّ به المحمل ، وبه سمى الأسير " [٥].

أما الجوهري فكان تأصيله لهذا اللفظ وتطور دلالته واضحا بقولـــه : " أسر قتبه يأسره أسرا : شدّه بالإسار ، وهو القدّ ، ومنه سمى الأسير ،

---

(١) الغريبين في القرآن والحديث ١ / ٧٣ .

(٢) الآله والأداة معروف الرصافي ص ٢٦١ .

(٣) غريب الحديث لابن قتيبه ٢ / ٣١٢ ، تفسير غريب القرآن له ص ٥٠٤ .

(٤) إصلاح المنطق لابن السكيت ص ٣١٨ .

(٥) جمهرة اللغة لابن دريد (أسر) ٣ / ٢٤٩ ، وينظر : النهاية فـــي غريـــب الحـــديث والأثر ١ / ٤٨ .

وكانوا يشدونه بالقدّ ، فسمى كل أخيذ أسيرا وإن لم يُشَدّ به " (١).

وقريب من هذا المعنى ما ذكره ابن سيده بقوله : " والإسارُ : ما شُدّ به ، والأسير : الأخيذ ، وأصله من ذلك ، وكل محبوس في قِدٍّ أو سجن أسير " (٢).

وجاء في اللسان : " والإسار : القيد ويكون حبل الكتاف ، ومنه سمى الأسير ، وكانوا يشدونه بالقد ، فسمى كل أخيذ أسيرا وإن لم يشدّ به ... وكل محبوس في قِدٍّ أو سجن : أسير " (٣).

والزبيدي أيضا يقول : " والإسار ككتاب : ما يُشد به الأسير ، كالحبل والقِدّ .. والأسير كأمير هو بمعنى المأسور ، وهو المربوط بالإسار ، ثم استعمل في الأخيذ مطلقا ، ولو كان غير مربوط بشئ ... وكل محبوس في قِدٍّ أو سجن : أسير ... ويقال للأسير من العدو : أسيرٌ ، لأن آخذه يستوثق منه بالإسار ، وهو القِدّ لئلا يُفلت " (٤).

وفي ضوء ما ذكرت من نصوص لأئمة اللغة في بيان معنى الأصل والتطور الدلالي في لفظ (الأسير) ، لوحظ انتقال الدلالة من معناها الأصلي " الأسير المشدود بحبل لئلا يهرب " إلى معنى جديد وهو (كل أخيذ مطلقا وإن لم يكن مشدودا أو مقيدًا بحبل ونحوه " وسبب التطور – هنا – هو الاستعمال المجازي لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي وبين المعنى الجديد (المنتقل إليه ، وهو ما آلت إليه دلالة هذا اللفظ .

---

(١) الصحاح للجوهري (أسر)٢ /٥٧٩ ، المفردات للراغب الأصفهاني ص ١٩.

(٢) المحكم لابن سيده ٨ / ٥٤٣ .

(٣) لسان العرب مادة (أسر) .

(٤) تاج العروس مادة (أسر) ٦/ ٢٢- ٢٣ .

حفف (= الحُفوف والحَفَف)

يقول ابن فارس : " والحُفوف : شدة العيش ، وأصله اليُبْسُ ، قال أبو زيد : حُفّت أرضنا وقُفّت : إذا يَبِس بقلها ، وهو كالشظف ، ويقال : هم في حَفَف من العيش ، أي : ضيق ومَحْل " [١].

في النص السابق إشارة واضحة لتطور دلالة لفظ (الحُفوف والحَفَف) إذ كان المعنى التأصيلي له هو " اليُبْس " ، ثم انتقلت الدلالة إلى معنى (شدة العيش وضيقه" ، وتشبيه اليبس بالشظف – هنا- قائم على معنى يبس العيش وشدته وضيقه أيضا.

وما ذكره ابن فارس يتفق مع علماء اللغة ، حيث ذكر صاحب مختصر العين معنى الأصل بقوله : " الحُفُوف : اليُبس " [٢]، غير أن هذا الأصل قد اعتراه التطور الدلالي : فانتقلت دلالته من معناه الأصلي (اليبس) إلى معنى جديد (الشدة والضيق في العيش) .

ينبه غير واحد من اللغويين على بيان معنى الأصل واللفظ المتطور بقوله يقول ابن قتيبه : " والحُفوف والحَفَف واحد ، وهو شدة العيش وضيقه ، وأصله اليُبس "[٣].

وابن دريد يقول : " والحَفَف : الضيق في المعاش والفقر " [٤]. ويقول الجوهري نقلا عن الأصمعي : " الحَفَف : عيش سَوْءٍ وقلّة مال " [٥].

وفصّل القول في ذلك ابن سيده ، حيث بيّن معنى الأصل وتطور

---

(١) المجمل في اللغة (خفف) ١/ ٢١٥.

(٢) مختصر العين للزبيدي ١ / ٢٣٧ .

(٣) غريب الحديث لابن قتيبه ١ / ٢٩٣ .

(٤) جمهرة اللغة لابن دريد ١ / ٦٢ . (خفف) .

(٥) الصحاح للجوهري ٣ / ١٣٤٥ (حفف) .

دلالة اللفظ بقوله : " قيل : قلّة المأكول وكثرة الأكلة [وهذا مظنة لشدة المعيشة وضيقها] ..وقال ابن دريد : هو الضيق في المعاش ، وقالت امرأة : خرج زوجي ويُتِّمَ ولدي ، فما أصابهم حَفَفُ والضفف[الوضفف كالشظف: يبس العيش وضيقه وشدته] قال : فالحَفَفُ : الضيق ، والضفف : أن يقل الطعام ويكثر آكلوه ... وقال اللحياني : الحَفَف : الكفاف من المعيشة [أي ضنك وضيق وشدة] وأصابهم حَفَفُ من العيش ، أي شدة ... والحُفوف : اليبس من غير دسم ... وحَفّت أرضنا تَحِفّ حُفوفا : يَبِس بقلها " (١).

والزمخشري – أيضا – يقول : " جعل البَلَل والحفوف – وهو اليبس – عبارة عن الرخاء والشدة " (٢) وفي موضع آخر يقول : " وحَفّ النبات حُفوفا: يبس ... ومنَ المجاز : فلان يحفّنا ويرفّنا ، أي : يضمنا ويؤوينا ، وهو في حُفُوف من العيش وحَفَف " (٣).

ويؤكد ابن الأثير بيان معنى الأصل وتطور دلالة اللفظ بقوله : " الحَفَف : الضيق وقلّة المعيشة ، يقال : أصابه حَفَفُ وحُفُوف . وحَفَت الأرض : إذا يَبس نباتها ... وهو " حافّ المطعم " أي : يابسه وقاحله ... " رأيت حُفُوفا " أي : ضيق عيش " (٤).

وفي اللسان : " الأصمعي : أصابهم من العيش ضَفَفَ وحَفَفُ وقَشَفُ

---

(١) المحكم لابن سيده ٢ / ٥٣٨ – ٥٣٩ ، وينظر : المفردات للراغب الأصفهاني ص ١٧٧ .

(٢) الفائق للزمخشري ١ / ١٢٩ .

(٣) أساس البلاغة (خفف) ١ / ١٨٥ .

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ١ / ٤٠٨ ، الغريبين في القرآن والحديث ٢ / ٤٦٦ .

، كل هذا من شدة العيش " [١].

وبهذا تلتقي تحديدات أئمة اللغة مع ابن فارس في تطور دلالة لفظ (الحُفوف والحَفَف) ، حيث انتقلت الدلالة من معناها الأصلي (اليبس) إلى (ضيق العيش وشدته) ، ولعل مرد التطور – هنا – هو الاستعمال المجازي لعلاَقة المشابهة بين معنى الأصل ، وبين المعنى الجديد (المنتقل إليه) ، وهو ما آلت إليه دلالة هذا اللفظ .

خشب (= الخشيب والصقيل)

يقول ابن فارس : " الخشيب : السيف الذي بُدئ طَبعه ، ثم كثر حتى صار عندهم الخشيب الصقيل " [٢]. وأصل تركيب (خشب) يحمل معنى الخشونة والغلظ ، وهو ما يعبر عنه ابن فارس في موضع آخر : " الخاء والشين والباء أصل واحد ، يدل على خشونة وغلظ فالأخشب : الجبل الغليظ ... والخشيب : السيف الذي بدئ طبعه ، ولا يكون في هذه الحال إلا خشنا"[٣].

إن ما أورده ابن فارس من تطور دلالي في (الخشيب الصقيل) ليدل دلالة قاطعة على جلائه ووضوحه ، إذ انتقلت فيه الدلالة من(السيف الذي بدئ طبعه ، وأنه حديث الصنعة لأنه بُرد ولم يُصقل بعد ، بل لم يُحْكَمْ عمله فهو ما زال خشنا غليظا) إلى معنى جديد يتبادر إلى الذهن عند إطلاقه ، حتى صار يطلق عليه (الصقيل بعد حكّة ونحته بالمبرد ، وإزالة ما علق به من شوائب كالشقوق وغير ذلك) .

وفي بيان معنى الأصل يقرر غير واحد من اللغويين ما ذكره ابن

---

(١) لسان العرب مادة (حفف) .

(٢) المجمل في اللغة (خشب) ٢ / ٢٩٠ .

(٣) المقاييس (خشب) ٢ / ١٨٥ .

فارس، حيث يقول ابن دريد :" وسيف مخشوب وخشيب: حديث الصنعة "[١] وإشارة الراغب تعبر عن ذلك : " من لفظ الخشب قيل : خشبت السيف : إذا صقلته بالخشب الذي هو المقصل ، وسيف خشيب : قريب العهد بالصقل . وجمل خشيب : أي جديد ، لم يُرَضْ ، تشبيها بالسيف الخشيب"[٢].

يعضد ذلك ما ذكره الزمخشري بقوله : " وسيف خشيب ومخشوب : لما يحكم عمله " [٣] وذهب بعضهم إلى أن الخشب في السيف يكون غليظا [٤]، ربما ذلك لعدم إحكام الصنع واكتماله .

إلا أن هذا الأصل قد أصابه التطور الدلالي ، فصار يستعمل بمعنى (السيف الصقيل بعد إتمام صنعه ، ونحته ، وبرده حتى صار تملّسه وتجريده من كل الشوائب واضحا ، وهذا ما أكده الجوهري بقوله : " والخشيب : السيف الذي بدئ طبعه ، والخشيب أيضا : الصقيل " [٥].

ويقرر ذلك ابن سيده بقوله : " وخشب السيف يخشبه خشبا ، فهو مخشوب وخشيب : طبعه ، وقيل : صقله ، والخشيب من السيوف الصقيل وقيل هو الذي لم يُصقل ولا أُحكِم عمله ، وقيل : هو الحديث الصنعة . وقيل : الخشب في السيف : أن تصنع سنانا عريضا عليه أملس فتدلكه به، فإن كان فيه شعث أو شقوق أو حدب ذهب به " [٦]. ووافقه في ذلك ابن

---

(١) الجمهرة (خشب) ١ / ٢٣٥ ، مختصر العين ١ / ٤٢٦ .

(٢) المفردات ص ٢١٣ .

(٣) أساس البلاغة (خشب) ١ / ٢٣١ .

(٤) ينظر: الغريبين في القرآن للهروي٢/٥٥٥، الكليات لأبي البقاء الكفوي ص٥٩.

(٥) الصحاح للجوهري (خشب) ١ / ١١٩ – ١٢٠ .

(٦) المحكم ٥ / ٣١ – ٣٢ .

منظور [١]. والزبيدي [٢].

وصفوة القول : أن ابن فارس جاء موافقا لما ذهب إليه اللغويون في بيان معنى الأصل (السيف الخشيب) وتطور دلالته ، فانتقل فيه من معنى (السيف : الذي بدئ طبعه أو حداثة عهده ، عندما يكون خشبا غليظا) إلى معنى جديد (الصقيل الذي أحكم عمله بعد نحته ، وذهاب ما به من شقوق وغير ذلك) .

ولعل مرد التطور – هنا – هو الاستعمال المجازي لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي وبين المعنى الجديد (المنتقل إليهْ) ، وهو ما آلت إليه دلالة هذا اللفظ .

خوس (= الخوس)

يقول ابن فارس : " والخوس : الخيانة ، ويقال : خاس الطعامُ والبيع وأصله من : خاست الجيفة في أول ما تُرْوح ، فكأنه كسد حتى فسد " [٣].

ألمح ابن فارس – من خلال الفقرة السابقة – بتطور دلالي في لفظ (الخوس) ، إذ يذكر معنى الأصل بقوله : " خاست الجيفة في أول ما تُروح " أوالجيفة هي جثّة الميت إذا أنْتَنَتْ وأروحتْ وتغيّرت فأصبحت فاسدة ، وينسحب ذلك المعنى على الخيانة والغدر ونقض العهد والوعد ، للفساد البيّن الذي ينتج عن هذه الصفات التي ينأى عنها صاحب الخُلُق الطيب الكريم ، كما ينسحب علي فساد الطعام والبيع إذا تغيّر كل منهما .

إلا أن هذا الأصل قد أصابه التطور الدلالي ، وفيه انتقلت دلالته من قولهم: " خاست الجيفة في أول ما تروح " إلى معنى جديد هو (الخيانة

---

(١) لسان العرب مادة (خشب) .

(٢) تاج العروس مادة (خشب) ١ / ٤٥٩ – ٤٦٠ .

(٣) المجمل في اللغة (خوس) ٢ / ٣٠٦ .

والغدر ونقض العهد " والفساد - في التعبيرين - جليٌ واضح .

وهذا الذي أسلفت قد نبه عليه كثير من اللغويين ، يقول ابن السكيت : " وقولهم : قد خاس البيع والطعام ، وأصله من " خاست الجيفة في أول ما تروح ، فكأنه كسد حتى فسد " (١).

والجوهري يقول : " والخَيْس بالفتح مصدر قولك : خاست الجيفة ، أي أروحت ، ومنه قيل : خاس البيع والطعام ، كأنه كسد حتى فسد ، وخاس به يخيس ويخوس ، أي : غدر به . يقال : خاس فلان بالعهد : إذا نكث " (٢).

ويقرر الزمخشري معنى الأصل والتطور الدلالي ، وأنهما يلتقيان في التغيّر والفساد ، سواء أكان ذلك للطعام أو للبيع ، أو الخيانة والغدر وما ضاهاهما فيقول : " خاس بالعهد : إذا أفسده ، من خاس الطعام : إذا فسد ، ومنه الخيس لما يخيس من فيه من لحوم الفرائس " (٣). وفي موضع آخر يقول : " وخاس فلان وعده : إذا أخلف وخان " (٤) ، وفي موضع ثالث يقول : " خاس اللحم : تغيّر ... ومن المجاز : خاس بوعده وعهده : إذا نكث ، وأخلف وخاس بما كان عليه " (٥).

وفي اللسان يذكر ابن منظور معنى الأصل واللفظ المتطور ، فيقول : " الخَيْسُ بالفتح ، مصدر خاس الشئ يخيس خَيْسًا : تغيّر وفسد وأنتن . وخاست الجيفة ، أي : أروحت . وخاس الطعام والبيع خَيْسًا : كسد حتى فسد، وهو من ذلك .. وخاس الرجل خَيْسًا : أعطاه بسلعته ثمنا ما ، ثم

---

(١) إصلاح المنطق لابن السكيت ص ٣١٧ ، أدب الكاتب لابن قتيبه ص ٦٠ .

(٢) الصحاح (خوس) ٣ / ٩٢٦ ، تاج العروس مادة (خوس) ٨/ ٢٨٢ .

(٣) الفائق في غريب الحديث للزمخشري ١ / ٤٠٤ .

(٤) السابق ٤ / ٧٩ .

(٥) أساس البلاغة (خوس) ١ / ٢٥٧ .

أعطاه أنقص منه ، وكذلك إذا وعده بشئ ثم أعطاه أنقص مما وعده به . وخاس عهده وبعهده : نقضه وخانه " [١].

ويقول الهروي في هذا الصدد : " يقال للشئ يبقى في موضع فيفسد ويتغير كالجوز والتمر : خايس ، وقد خاس يخيس ، قال : والإنسان يُخَيَّس في المجلس حتى يبلغ منه شدة الغم والأذى ... ويقال : خاس بعهده : إذا نقضه ، وخاس بوعده : إذا أخلفه " [٢].

وفي ضوء ما قُدّم تَبَيَّن أن ابن فارس ومن تبعه من علماء اللغة ، أشاروا إلى التطور الدلالي الواضح ، الذي اعترى لفظ (الخوس) ، فنقلت فيه الدلالة من الجيفة عند تغيّرها في أول أرواحها ، إلى معنى جديد ، وهو التغير والفساد الذي يصيب الطعام والبيع ، وينسحب ذلك على الخيانة والغدر ونقض العهد للفساد البيّن الذي يلحقها ، ومرد التطور – هنا – هو الاستعمال المجازي لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي وبين ما انتُقل إلى المعنى الجديد ، وهو ما آلت إليه دلالة اللفظ .

دأب (= الدأب)

يقول ابن فارس : " الدأب : العادة والشأن ، ودأب الرجل في عمله : إذا جَدّ ، وأدأبته إدآبا ، والدائبان : الليل والنهار . وقال الفراء : الدأب أصله من دأبت ، إلا أن العرب حولت معناه إلى الشأن ، يقال : دأب ودأب " [٣] ثم يشير إلى أصل معنى التركيب في المقاييس فيقول : " الدال والهمزة والباء أصل واحد ، يدل على ملازمة ودوام " [٤].

---

(١) لسان العرب مادة (خيس).

(٢) الغريبين في القرآن والحديث ٢ / ٤٠٩ .

(٣) المجمل في اللغة (دأب) ٢ / ٣٤٣ .

(٤) المقاييس (دأب) ٢ / ٣٣١ .

يفهم من الفقرة السابقة أن ابن فارس صرح تصريحا جليا بتطور دلالي في لفظ (دأب) ، حيث بيّن معنى الأصل ، وهو الجد والاجتهاد والتعب والملازمة والدوام فيه ، وهذا ما نادى به غير واحد من علماء اللغة .

غير أن هذا الأصل قد اعتراه التطور الدلالي ، فانتقلت فيه الدلالة من معنى الجد والاجتهاد والتعب ، إلى معنى العادة والشأن والخطب والأمر والحال ، وفي ذلك يقول الطبري: " أصل الدأب من (دابت في الأمر دأبا): إذا أدمنت العمل والتعب فيه ، ثم إن العرب نقلت معناه إلى الشأن والأمر والعادة " (١).

وإشارة الجوهري تؤكد ذلك بقوله : " دأب فلان في عمله ، أي : جدّ وتعب ... والدأب العادة والشأن ، وقد يحرك . قال الفراء : وأصله من "دأبت في العمل" : إذا جدّ وتعب ، إلا أن العرب حوّلت معناه إلى الشأن"(٢).

ويعضد ذلك ما ذكره الراغب الأصفهاني بقوله : " الدأب : إدامة السير ، دأب في السير دأبا ، قال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ﴾ (٣). والدأب : العادة المستمرة دائما على حالة . قال تعالى : ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾(٤) : أي كعادتهم التي يستمرون عليها " (٥).

والزمخشري يقول : " دأب الرجل في عمله : اجتهد فيه .. ومن المجاز : هذا دأبك أي شأنك وعملك " (٦).

أما الرازي فقد وضح معنى الأصل توضيحا بيّنا وتطور دلالة اللفظ

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ٣ / ١٢٧ – ١٢٨ .

(٢) الصحاح للجوهري (دأب) ١ / ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٣) من الآية (٣٣) من سورة (إبراهيم) .

(٤) من الآية (١١) من سورة (آل عمران) .

(٥) المفردات ص ٢٥١ .

(٦) أساس البلاغة (دأب) ١ / ٢٦٠ .

كذلك من خلال تعليقه على قوله تعالى : ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ : يقال دأبت الشئ أدأب دأبا ودؤبا : إذا أجهدت في الشئ وتعبت فيه ، قال الله تعالى : ﴿ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا ﴾ (١) ، أي : بجد واجتهاد ودوام ، ويقال : سار فلان يوما دائبا : إذا أجهد في السير يومه كله ، هذا معناه في اللغة ، ثم صار الدأب عبارة عن الشأن والأمر والعادة " (٢).

ويقرر ابن الأثير بيان معنى الأصل والتطور الدلالي للفظ (دأب) بقوله : " الدّأب : العادة والشأن ، وقد يحرّك . قال الفراء : أصله من دأبت في العمل إذا جدّ وتعب ، إلا أن العرب حولتْ معناه إلى العادة والشأن (٣) وكذلك قال ابن منظور (٤) ، والزبيدي (٥).

ويمكن القول : إن ما اثبته ابن فارس في تطور دلالة لفظ (دأب) كان موافقا للغويين في هذا الصدد ، فانتقلت دلالته من الجد والاجتهاد والتعب إلى معنى جديد يتبادر إلى الذهن عند إطلاقه ، فاستعمل بمعنى العادة والشأن . ولا يخفى أن مرد التطور – هنا – هو الاستعمال المجازي لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي وبين المعنى الجديد المستعمل فيه اللفظ ، وهو ما آلت إليه دلالة هذا اللفظ

دلس (=التدليس)

يقول ابن فارس : " التدليس : بيع الشئ من غير إبانة عن عيبه ،

---

(١) من الآية (٤٧) من سورة (يوسف) .

(٢) مفاتيح الغيب ٧ / ١١٦ .

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢ / ٩٥ .

(٤) لسان العرب مادة (دأب) .

(٥) تاج العروس مادة (دأب) ١ / ٤٧٦ .

وأصله من الدَّلس وهو الظلمة " [١].

مفهوم النص الذي ساق ابن فارس يشير إلى تطور دلالة لفظ (التدليس) ، إذ يذكر معنى الأصل (الظلمة) ، ثم يوضح المعنى الأصلي للتركيب في المقاييس فيقول : " الدال واللام والسين أصل يدل على ستر وظلمة . فالدّلس دَلَسُ الظلام "[٢] وهذا يتساوق مع ما ذكره المعجميون[٣].

غير أن هذا الأصل قد اعتراه التطور الدلالي، فانتقلت فيه الدلالة من (الظلمة والستر) إلى معنى جديد (بيع الشئ من غير إبانة عن عيبه) ، وهذا نوع من أنواع الخيانة والغدر ، يؤكد ذلك ما ذكره ابن دريد بقوله : " الدّلس : فعل ممات ، منه دالس يدالس مدالسة ودِلاسًا ، وكأنه الخيانة والغدر " [٤].

ويقول الجوهرَي : " التدليس في البيع : كتمان عيب السلعة عن المشتري . والمدالسة كالمخادعة . يقال : فلان لا يدالسك ، أي : لا يخادعك ولا يخفى عليك الشئ ، فكأنه يأتيك به في الظلام . والدّالس بالتحريك : الظلمة " [٥].

ويعضد ذلك ما أورده ابن سيده من خلاله قوله : " والدلس : الظلمة . وفلان لا يدالس ولا يوالس : أي : لا يخادع ولا يغدر ... ودَلَس في

---

(١) المجمل في اللغة (دلس) ٢ / ٣٣٣ .

(٢) المقاييس (دلس) ٢ / ٢٩٦ .

(٣) ينظر في ذلك : الصحاح (دلس) ٣ / ٩٣٠ ، المحكم ٨ /٤٢٥ ، الفائق ٤٣٦/١ - ٤٣٧ أساس البلاغة ١ / ٢٧٩ ، لسان العرب مادة (دلس) ، المصباح المنير مادة (دلس) ص ١٩٨ ، تاج العروس (دلس) ٨ / ٢٩٠ .

(٤) جمهرة اللغة (دلس) ٢/ ٢٦٤ .

(٥) الصحاح (دلس) ٣/٩٣٠ ، مختصر العين للزبيدي ٢/ ٢١٠.

البيع وغيره : إذا لم يتبيّن عيبه ، وهو من الظلمة " (١).

والزمخشري يقول : " ابن المسيّب : رحم الله عمر ﷺ لو لم ينه عن المتعة لا تخذها الناس دولسيا . الدَّوْلسِيّ : الأمر الذي فيه تدليسُ ، وأصله أن يستر البائع على المشترى عيب السلعة ، من الدّلَس وهو الظلمة " (٢).

وفي اللسان : " الدَّلَس بالتحريك : الظلمة ... والمدالسة : المخادعة . وفلان لا يدالسك ولا يخادعك ولا يخفى عليك الشئ ، فكأنه يأتيك به في الظلام ...ودلّس في البيع وفي كل شئ : إذا لم يبيّنْ عيبه ، وهو من الظلمة ... والتدليس : إخفاء العيب " (٣).

وصفوة القول : إن ما ذكره ابن فارس في بيان معنى أصل الدلس (الظلمة) يؤكد تطور دلالة اللفظ ، فانتقلت الدلالة إلى معنى جديد (هو إخفاء عيب السلعة عن المشترى من غير أن يُبَيَّن عَيْبُها) وهذا نوع من أنواع الخيانة والغدر ، فكأنه أتاك به في الظلام حتى لا تبصر ما به من عيب ونحوه.

ولا يخفى أن مرد التطور – هنا– قائم على الاستعمال المجازى لعلاقة المشابهة بين معنى الأصل (الظلمة) وبين ما انتقلت إليه تطور دلالة اللفظ (بيع السلعة للمشتري بنوع من أنواع الخداع والخيانة) ، والتعبير بالظلمة يوحي بوضع الشئ في غير موضعه ، كما أن الغدر والخيانة والخداع يكونان كذلك . وهو ما آلت إليه دلالة هذا اللفظ .

---

(١) المحكم لابن سيده (دلس) ٨/ ٤٥٢ ، النهاية في غريب الحديث والأثر ١٣٠/٢.

(٢) الفائق ١/ ٤٣٦ – ٤٣٧ ، أساس البلاغة (دلس) ١ / ٢٧٩ .

(٣) اللسان مادة (دلس) ، التاج مادة (دلس) ٢٩٠/٨ .

رشح (= الترشيح)

يقول ابن فارس : " الرشح : العرق ، والترشيح : التربية ، ويقال : هو يُرشّح للخلافة ، كأنه يُربّي لها ، وأصل ذلك : أن يمشي الظبية ولدها أول ما يقدر على المشئ ، ليرشح عرقا ، ويقوي تدرّجه إلى السعي تدريجا ، ثم استعير لكل مَنْ رُبّي لأمر " (١).

يشير ابن فارس إشارة جلية إلى تطور دلالة لفظ (الترشيح) ، إذ بين معنى أصل اللفظ (أن يمشي الظبية ولدها أول ما يقدر على المشي ، إلى أن يقوي شيئا فشيئا ، فكأنها أهّلته لمواجهة الحياة ، غير أن اللفظ قد اعتراه التطور الدلالي ، حتى صار يطلق على كل من هُيّئ لأمر ، كالترشيح للخلافة أو للوزارة ونحو ذلك .

وأكد ابن سيده التطور الدلالي في اللفظ السابق بقوله : " والترشيح أيضا: التربية ، ورشح للأمر : رُبيّ له وأُهّلَ " (٢).وابن الأثير يقدر ذلك بقوله : " ومنه حديث خالد بن الوليد : " أنه رشّح ولده لولاية العهد " أي: أهّله لها . والترشيح : التربية والتهيئة للشئ"(٣). وفي المصباح : " ورشّح الندى النبت ترشيحا : ربّاه " (٤).

وقريب مما ذكره ابن فارس لمعنى الأصل اللفظ المتطور ما أشار إليه ابن دريد : " ورشّحت المولود إذا أحسنت غذاءه وتربيته ... ورشح الندى النبت : إذا رباه .. وأرشحت الناقة ولدها : إذا دنا من الفطام وأرادت فطامه "(٥).

---

(١) المجمل في اللغة (رشح) ٢ / ٣٧٨ .

(٢) المحكم مادة (رشح) ٣ / ١٠٨ – ١٠٩ .

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢ / ٢٢٤ – ٢٥ .

(٤) المصباح المنير مادة (رشح) ص ٢٢٧ .

(٥) جمهرة اللغة لابن دريد (رشح) ٢ / ١٣٣ .

وتأكيدا – لما سبق – يقرر الزمخشري معنى الأصل والتطور الدلالي بقوله : " ومن المجاز : هو مرشح للخلافة ، وأصله : ترشيح الظبية ولدها تعوّده على المشي فترشح " [١].

أما الجوهري فكانت إشارته لهذا التطور الدلالي موافقة للغويين ، في هذا الصدد ، يقول : " والترشيح : أن ترشح الأم ولدها باللبن القليل ، تجعله في فيه شيئا بعد شئ إلى أن يقوى على المص . وتقول فلان يُرشح للوزارة ، أي يُربَّي ويؤهّل لها . وترشح الفصيل : إذا قوى ومشى مع أمه" [٢] وهذا ما نص عليه أيضا ابن منظور [٣] ، والزبيدي [٤].

ومن ثم : فإن ما ذكره ابن فارس يتلاءم مع ما ذكره اللغويون في تطور دلالة لفظ (الترشيح) ، وما حوته بطون المعجمات العربية وغيرها ، يبين أن اللفظ قد أصابه التطور الدلالي ، إذ انتقل معناه من (الظبية التي تمشي ولدها أول ما يقدر على المشي ، إلى أن يقوى تدرجه للسّعي ومواجهة الحياة) إلى معنى جديد وهو (كل من رُبّى لأمر ، فيؤهّل له ، كالتهيئة للخلافة أو الإمارة أو الوزارة ، ونحو ذلك) .

ولا يخفى أن مرد التطور – هنا – هو الاستعمال المجازي لعلاقة المشابهة بين معنى الأصل (مساعدة الظبية ولدها إلى أن يقوى ليواجه السعي في الحياة بنفسه) ، وبين ما استعمل فيه اللفظ (المعنى المنتقل عليه) كل من رُبّى لأمر وهُيّئ له . وهو ما آلت إليه دلالة هذا اللفظ .

---

(١) أساس البلاغة مادة (رشح) ١/ ٣٤١ .

(٢) الصحاح للجوهري (رشح) ١/ ٣٦٥ .

(٣) لسان العرب مادة (رشح) .

(٤) تاج العروس مادة (رشح) ٤/ ٥٠ -٥١.

سبب (= السَّبُّ)

يقول ابن فارس : " قال بعض أهل اللغة : أصل السَّبِّ : القطعُ ، ثم صار السَّبُّ الشَّتم " [١] ويذكر المعنى الأصلي في المقاييس : " السين والباء حدّه بعض أهل اللغة – وأظنه ابن دريد – أن أصل هذا الباب : القطع ، ثم اشتق منه الشتم ... من ذلك : السِّبُّ : الخمار لأنه مقطوع من مَنْسَجِه ... والسَّبُّ : الشتّم ، ولا قطيعة أقطع من الشتم " [٢].

في النص السابق إشارة واضحة لتطور دلالة لفظ (السَّب) ، إذْ يؤصل له ابن فارس بقوله : " وأصل السَّبّ القطع) ، ولاشك أن هذا الأمر يؤدي إلى التفرّق والتمزيق ، وفيه الهُجران والصَّدُّ ، ثم استعمل في معنى جديد ، يتبادر إلى الذهن عند إطلاقه ، وهو (الشَّتْم) : الذي يتضمن قبيح الكلام وأحطه ، ولا يتأتى ذلك إلاّ من سيِّئ الخلق .

وأشار غير واحد من اللغويين إلى بيان معنى الأصل كابن سيده بقوله: "سبّه سبًّا : قطعه" [٣] وفي اللسان: " السّبّ : القطع ، سبّه ، سبًّا : قطعه"[٤].

إلا أن معنى هذا الأصل قد اعتراه التطور الدلالي ، إذ انْتُقِل فيه معناه الأصلي (القطع) إلى معنى جديد (الشتم) ، وما أوردته الاستعمالات اللغوية تؤكد ذلك ، يقول ابن دريد : " وأصل السبّ : القطع ، ثم صار السبُّ شتْما ، لأن السَّبَّ خرق الأعراض ، قال الشاعر :

فما كان ذنب بني مالك بأن سُبَّ منهم غلام فَسَب

قوله : " سُبّ " أي : شتم ، وقوله : " فسب " أي قطع ، كأنه جعل

---

(١) المجمل في اللغة (سبب) ٢ / ٤٥٦ .

(٢) المقاييس (سبب) ٣ / ٦٣ .

(٣) المحكم (سبب) ٨ / ٤٢٢ – ٤٢٤ .

(٤) لسان العرب مادة (سبب) ، تاج العروس مادة (سبب) ٢/ ٦٣٠.

القطع سبًّا ، إذ كان مكافأة للسَّبِّ " [١].

والجوهري أيضا يقرر ذلك من خلال قوله : " السَّب!ُ : الشَّتْم ... والتسابّ التشاتم . والتسابّ : التقاطع " [٢] ويقول ابن سيده : " سَبَّه سبًّا : قطعه ... وسبّه يسُبه سبًّا : شتمه ، وأصله من ذلك [٣] " ، ويقول الراغب: " والسَّبُّ الشتم الوجيع " [٤].

ومن ثم : فإن ابن فارس قد وافق اللغويين في بيان معنى أصل لفظ (السَّبِّ) وهو (القطع) ، فانتقلت الدلالة منه إلى الشتم ، ولا يخفى أن مرد التطور – هنا – هو الاستعمال المجازي لعلاقة المشابهة بين معنى الأصل وهو القطع ، وبين ما انتقلت إليه دلالة اللفظ ، فصار يطلق على الشتم ، بجامع التفرق والتمزق لأواصر الإنسانية والهجران ، ولا شك أن الشتم يولد القطيعة بين الناس ، وهو ما آلت إليه دلالة هذا اللفظ .

سفر (= السُّفرة)

يقول ابن فارس : " والسفرة : الطعام يُتخذ للمسافر ، وبه سميت الجلدة سفرة [٥] "

في هذا النص يقرر ابن فارس صراحة تطور دلالة لفظ (السُّفرة) ، وهي في الأصل كانت تطلق على الطعام الذي يتخذه المسافر ، ثم انتقلت دلالته إلى الوعاء الذي يحمل الطعام ، أو ما يوضع عليه من مائدة ونحو

---

(١) جمهرة اللغة لابن دريد ١ / ٣٠ – ٣١ .

(٢) الصحاح للجوهري مادة (سبب) ١/ ١٤٤ – ١٤٥ .

(٣) المحكم ٨ / ٤٢٢ – ٤٢٤ ، النهاية في غريب الحديث ٣ / ٣٢٩ – ٣٣٠ ، اللسان (سبب) ، التاج (سبب) ٢/ ٦٣ .

(٤) المفردات للراغب الأصفهاني ص ٣٢٣ .

(٥) المجمل في اللغة (سفر) ٢ / ٤٦٥ .

ذلك ، ثم سميت فيما بعد بحجرة السفرة (التي تحتوي على قطع معينة من الخشب) ، ثم أطلق على الخشب نفسه المُعدّ لذلك سفره .

وبهذا يلتقي ابن فارس مع كوكبة من علماء اللغة في بيان معنى الأصل واللفظ المتطور يقول الزبيدي : " والسفرة : طعام المسافر ، وبه سميت سفرة الجلد " (١) والجوهري يقول في هذا الصدد : " والسفرة : طعام يتخذه المسافر، ومنه سميت السفرة " (٢) ، وكذلك صرح ابن سيده(٣). أما ابن دريد فاقتصر تعبيره بقوله : " والسفرة معروفة " (٤) ولم يوضح ، ربما ذلك لجلائه ووضوحه والراغب الأصفهاني يقول أيضا : " ومن لفظ السفر اشتق السفرة لطعام المسافر ، ولما يوضع فيه"(٥).

وفي اللسان : " والسفرة ، بالضم : طعام يتخذ للمسافر ، وبه سميت سفرة الجلد ، وفي حدّيث زيد بن حارثة ، قال : ذبحنا شاة فجعلناها سفرتنا أو في سفرتنا ، السفرة : طعام يتخذه المسافر ، وأكثر ما يحمل في جلد مستدير فنُقل اسم الطعام إليه ، وسمى به ، كما سميت المزادة رواية ، وغير ذلك من الأسماء المنقولة ... وفي حديث عائشة : صنعنا لرسول الله ﷺ ولأبي بكر سفرة في جراب، أي طعاما لمّا هاجر هو وأبو بكر ﷺ غيره: السفرة التي يؤكل عليها ، سميت سفرة ، لأنها تبسط إذا أكل عليها " (٦).

ويتفق صاحب المصباح في تطور دلالة لفظ سفرة مع من سبقه من

---

(١) مختصر العين ٢ / ٢١٥ .

(٢) الصحاح للجوهري ٢ / ٦٨٦ (سفر) .

(٣) المحكم (سفر) ٨/ ٤٧٩ .

(٤) جمهرة اللغة (سفر) ٢ / ٣٣٣ .

(٥) المفردات ص ٣٤٢ .

(٦) لسان العرب مادة (سفر) .

اللغويين ، فيقول : " والسفرة : طعام يُصنع للمسافر ... وسميت الجلدة التي يُوعَى فيها الطعام سفرة مجازا " (١).

ويضيف الزبيدي إضافة رائعة في تطور دلالة لفظ (السفرة) ، إذْ تمّ الانتقال فيه من الطعام المصنوع للمسافر إلى ما يوضع فيه ، وما يؤكل عليه ، فيقول : " والسفرة بالضم : طعام المسافر المعدّ للسفر ، هذا هو الأصل فيه ثم أطلق على وعائه ، وما يوضع فيه من الأديم ، ثم شاع الآن فيما يؤكل عليه . وفي التهذيب : السفرة التي يؤكل عليها ، وسميت لأنها تُبسط إذا أُكِل عليها . ومنه سفرة الجلد " (٢).

ويقول معروف الرصافي : " والسفرة كظلمة : ما يُبسط تحت الخوان من جلد وغيره ، وتطلق على طعام المسافر أيضا ، يقال : صنعنا له سفرة في جراب " (٣).

ويمكن القول : أن ابن فارس قد أصاب القول في بيان معنى الأصل ، وفي تطور دلالته إذ كان في الأصل طعاما يُعدّ للمسافر ، ثم انتقل إلى معنى جديد (الجلدة التي يوضع بداخلها الطعام أو الوعاء الذي يُحْمَل فيه)، ثم شاع الآن فأصبح يطلق على حجرة السفرة ، وكذلك القطع المصنوعة من الخشب .

ولا يخفى أن مرد التطور - هنا - هو الاستعمال المجازي لعلاقة المجاورة ، وهو ما آلت إليه دلالة اللفظ .

---

(١) المصباح المنير مادة (سفر) ص ٢٧٩ .

(٢) تاج العروس مادة (سفر) ٦ / ٥٢٦ .

(٣) الآله والأداة لمعروف الرصافي ص ١٤٣ .

نسك (منسك)

يقول ابن فارس : " والمنسك : الموضع تذبح فيه الذبائح ، ويقال : المنسك المكان الذي تألفه " (١) وأصل المعنى عبّر عنه ابن فارس بقوله في المقاييس : " النون والسين والكاف أصل صحيح يدل على عبادة وتقرّب إلى الله تعالى " (٢).

في النص السابق ألمح ابن فارس بتطور دلالة لفظ (المنسك) ، وأصله: الموضع أو المكان الذي تذبح فيه الذبائح ، وهو مكان مألوف معروف ، ثم انتقل إلى معنى جديد يتبادر إلى الذهن عند إطلاقه ، وهو تأدية المشاعر والمناسك لأعمال الحج والعمرة (كالطواف ، والسعي ومنى ، وعرفات ، والمزدلفة) وهي أماكن يعتادها الناس ويترددون إليها، تقرّباً إلى الله ﷻ .

وهذا ما نبه عليه أئمة اللغة (أصحاب المعجمات العربية وغيرها) في بيان معنى الأصل ، وتطور دلالة اللفظ ، حيث جعل ابن دريد معنى الأصل : الذبائح التي كانت تذبح في الجاهلية ، وبعد الإسلام نسخ ذلك بالأضاحي ، فيقول : " والنسك أصله ذبائح ، كانت تذبح في الجاهلية ... والنسيكة : شاة كانوا يذبحونها في المحرم في أول الإسلام ، ثم نسخ ذلك بالأضاحي ، قال الشاعر (الأعشى) :

وذا النُصُب لا تنسكنّـــه ولا تعبد الشيطان والله فاعْبُدا

والنسك في الإسلام اختلفوا فيه ، فقال قوم : هو نسك الحج ، وقال آخرون : هو الزهد في الدنيا من قولهم : رجل ناسك " (٣). وأيا ما كان الأمر فإن الزهد في الدنيا ، وإقامة الحج تقرّب إلى الله ﷻ .

---

(١) المجمل في اللغة (نسك) ٣ / ٨٦٥ .

(٢) المقاييس (نسك) ٥ / ٤٢٠ .

(٣) الجمهرة (نسك) ٣ / ٤٧ .

ويرى الجوهري أن أصل اللفظ موضع الذبح ، ثم أطلق على العبادة، بقوله : " والنُّسُك : العبادة . والناسك : العابد ... والنسيكة : الذبيحة ... والمَنْسِك والمَنْسَك : الموضع الذي تذبح فيه النسائك " (١).

وابن سيده – كذلك – يقول : " النُّسْك والنُّسُك : العبادة ... والمنسك: الموضع الذي يذبح فيه النسيكة " (٢).

ويعضد ذلك الراغب الأصفهاني بقوله : " النسك : العبادة . والناسك: العابد ، واختص بأعمال الحج . والمناسك مواقف النسك وأعمالها . والنسيكة مختصة بالذبيحة " (٣) ويتفق الزمخشري (٤) معه كذلك .

أما ابن الأثير فقد بَيّن معنى الأصل للفظ المناسك (الذبائح) ، ثم أطلق على شعائر الحج وأعماله مناسك ، وكلها طاعة الله عز وجل ، فيقول : " فالمناسك جمع مَنْسِك (بفتح السين وكسرها) ... ثم سميت أمور الحج كلها مناسك . والمَنْسَك : المذبح ... والنسيكة : الذبيحة . والنُّسُك والنَّسُك أيضا : الطاعة والعبادة ، وكل ما تُقُرِّبَ به إلى الله تعالى " (٥).

وجاء في اللسان : " والمنسك : الموضع الذي تذبح النسيكة والنسائك ... وقال الفراء : المَنْسَك والمَنْسِك في كلام العرب : الموضع المعتاد الذي تعتاده ، ويقال : إن لفلان منسكا يعتاده في خير كان أو غيره ، وبه سميت المناسك ... ثم سميت أمور الحج كلها مناسك " (٦).

---

(١) الصحاح (نسك) ٣ / ١٦١٢ .

(٢) المحكم مادة (نسك) ٦ / ٧٢٠٤ .

(٣) المفردات ص ٧٤٧ .

(٤) أساس البلاغة ٢ / ٤٢٩ .

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر ٥ / ٤٨ .

(٦) لسان العرب مادة (نسك) ، المصباح المنير مادة (نسك) ص ٦٠٣– ٦٠٤.

هذا ما ذكره أصحاب المعجمات ، أما علماء التفسير فلم يخرجوا عما سبق في بيان معنى الأصل للفظ (المنسك) الموضع الذي يعتاده الرجل ويألفه ، أو مكان الذبح ، واللفظ المتطور (شعائر الحج والعمرة)، يقول الطبري : " وأما المناسك فإنها جمع منسك ، وهو الموضع الذي يُنسك لله فيه ، ويتقرّب إليه فيما يرضيه من عمل صالح ، إما بذبح ذبيحة له ، وإما بصلاة أو طواف أو سعي ، وغير ذلك من الأعمال الصالحة ، ولذلك قيل لمشاعر الحج : مناسكه ، لأنها أمارات وعلامات يعتادها الناس ويترددون إليها . وقيل المنسك في كلام العرب : الموضع الذي يعتاده الرجل ويألفه .. ولذلك سميت المناسك مناسك ، لأنها تُعتاد ويُتردّد إليها بالحج والعمرة وبالأعمال التي يتقرب بها إلى الله " (١).

وفي غير موضع أشار الرازي إلى بيان معنى الأصل (الموضع الذي تذبح فيه الذبائح) وانتقال ذلك إلى المواقف أو المواضع التي يقام فيها أعمال الحج ، يقول عند تعليقه على قوله تعالى : " وأرنا مناسكنا (٢). " إن المناسك هي المواقف والمواضع التي يُقام فيها شرائع الحج ، كمنى وعرفات والمزدلفة ونحوها ... ثم سمي الذبح نسكا ، والذبيحة نسيكة ، وسمي أعمال الحج مناسك " (٣).

يؤكد الهروي ذلك بقوله : " وكل متعبّد منسك ، ثم سمي أمور الحج مناسك . وقوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا ﴾ (٤) قال مجاهد : أي : مذبحا ، وقيل : نَسَك إذا ذبح ، والذبيحة نسيكة ... وقال الأزهري في

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ١ / ٤٣٤ ، ١٧ / ١٣٨ .

(٢) من الآية (١٢٨) من سورة (البقرة) .

(٣) مفاتيح الغيب للرازي ٤ / ٥٧ ، ٥/ ١٣٠ ، ١٥٧ .

(٤) من الآية (٦٧) من سورة (الحج) .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي ﴾ [١]. النسك كل ما تقرب به إلى الله عز وجل ، وقول الناس : فلان من النساك أي : عابد ، يؤدي المناسك وما فرض الله عليه ، وما يتقرّب به إليه " [٢].

ويقرر – ذلك – أبو البقاء الكفوي من خلال قوله : " النسك : كل متعبّد فهو نسك ومنسك ، ومن هذا قيل للعابد : ناسك ، والنسك في الأصل غاية العبادة ، وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة " [٣].

ومن ثم : يمكن القول : إن ابن فارس وما حوته بطون المعجمات العربية ، وكتب التفسير كذلك تؤكد أن لفظ المناسك قد اعتراه التطور الدلالي ، إذ انتقل فيه من معناه الأصلي (الموضع الذي يعتاده الناس ويألفونه في الذبح) إلى معنى جديد وهو (شعائر الحج والعمرة من طواف ، وسعي ، ومنى ، وعرفات ، وصلاة) وكل ذلك عبادات يتقرّب بها العباد إلى رب العالمين .

ولا يخفى أن مرد التطور – هنا – هو الاستعمال المجازي لعلاقة المشابهة بين أصل وضع اللفظ وبين المعنى الجديد ، بجامع الطاعة لله عز وجل والتقرّب إليه بصالح الأعمال ، وهو ما آلت إليه دلالة هذا اللفظ.

❁❁❁❁❁

---

(١) من الآية (١٦٢) من سورة (الأنعام).

(٢) الغريبين في القرآن والحديث للهروي ٦ / ١٨٣١ – ١٨٣٢ .

(٣) الكليات لأبي البقاء الكفوي ص ٨٨٧ ، ٩١٠ .

الخاتمـــــة

بعد هذه الرحلة التي عايشناها مع التطور الدلالي في ضوء ما ذكره ابن فارس في (مجمل اللغة) يمكننا استخلاص أهم النتائج على النحو التالي :

أولاً : يعد ابن فارس موافقا للغويين في جُلّ ما عرضه من ألفاظ التطور الدلالي فجاءت متساوقة ومتطابقة معهم تماما ، وإن كان صرح في بعضها بمعنى الأصل ، وفي معظمها صرح بالأصل والتطور معاً .

ثانياً : يلاحظ في بعض الألفاظ أنه عدّد مراحل التطور الدلالي مثل لفظ (سفرة) ؛ حيث كانت على الطعام الذي يتخذه المسافر ، ثم انتقلت إلى الوعاء الذي يحمل فيه الطعام ، ثم انتقلت إلى المائدة التي يوضع عليها ، وأخيرًا أطلقت على الحجرة الخاصة بالسفرة .

ثالثاً : معظم ما ورد في البحث من أمثلة التطور الدلالي يُعزى إلى الاستعمال المجازي لعلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى الجديد المتبادر إلى الذهن عند إطلاقه .

رابعاً : النماذج التي قدّمها ابن فارس في التطور الدلالي تمثل أعراضه الثلاثة ، غير أن مظهر التخصيص يأتي في المقدمة ، إذ يمثل نسبة ٣٩% منها ، ويليه انتقال الدلالة ، حيث يمثل نسبة ٣٢% منها ؛ أما التعميم فهو أقل الثلاثة ، إذ يمثل نسبة ٢٩% منها .

خامساً : لوحظ – أيضاً – أن ابن فارس ذكر المعنى التأصيلي واللفظ المتطور في الأمثلة التي ذكرها ما يمثل نسبة ٦٤,٨٠% ، والمعنى التأصيلي فقط يمثل نسبة ٣٥,٢٠% وهذا يدل على علمه باللغة وكنه أسرارها . واستفاد من خلاله معظم اللغويين في هذا الصدد .

❁❁❁❁❁

أهم المصادر والمراجع

- أدب الكاتب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي (ت٢٧٦هـ) تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد – المكتبة التجارية الكبرى – مطبعة الرحمانية .
- أساس البلاغة للزمخشري – الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة الثالثة ١٩٨٥م .
- الأعلام – لخير الدين الزركلي – دار العلم للملايين – بيروت – لبنان سنة ١٩٨٦م .
- الأم للإمام الشافعي (محمد بن إدريس ت٢٠٤هـ) – دار الغد العربي بالقاهرة – سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .
- البحر المحيط لأبي حيان (٧٤٥هـ) دار إحياء التراث العربي– بيروت– الطبعة الثانية ١٩٩٠م .
- البيان والتبيين للجاحظ – تحقيق : عبد السلام هارون – دار الجيل – بيروت .
- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة – شرح السيد أحمد صقر – دار التراث ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .
- تاج العروس للزبيدي – تحقيق : علي شيري – دار الفكر – بيروت – لبنان – سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .
- تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري – تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار – دار العلم للملايين – بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة – سنة ١٩٨٤م.
- التطور اللغوي – مظاهره وعلله وقوانينه د. رمضان عبد التواب – مكتبة الخانجي بالقاهرة ، دار الرفاعي بالرياض – الطبعة الأولى – مطبعة المدني ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م .
- التعريفات للشريف الجرجاني (علي بن محمد بن علي ت ٨١٦هـ) – تحقيق : إبراهيم الإبياري – دار الريان للتراث .
- تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد بن أزهر الأزهري(ت٣٧٠هـ) تحقيق : عبد السلام هارون وآخرون – مكتبة الخانجي بالقاهرة – سنة ١٩٧٦م .
- جامع البيان في تفسير القرآن للطبري (ت٣١٠هـ) وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري – دار الجيل .

- الجامع لأحكام القرآن للإمام شمس الدين أبي عبد الله بن محمد بن بكر بن فرح الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ) – دار الغد العربي – طبعة سنة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .
- جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري (ت٣٢١هـ) – دار صادر – بيروت .
- دراسات في الدلالة والمعجم د. رجب عبد الجواد إبراهيم – دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع .
- الدلالات القرآنية د. محمد حسن جبل – الجزء الأول – سنة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م – التركي للكمبيوتر بطنطا .
- دلالة الألفاظ د. إبراهيم أنيس – مكتبة الأنجلو المصرية – الطبعة الرابعة سنة ١٩٨٠م .
- دور الكلمة في اللغة – استيفن أولمان – ترجمة وتعليق د. كمال محمد بشر – مكتبة الشباب بالمنيرة بالقاهرة .
- سير أعلام النبلاءِ للذهبي – مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣م .
- الصاحبي لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ) – تحقيق: السيد أحمد صقر – دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي .
- علم الدلالة د. إبراهيم محمد أبو سكين – الطبعة الأولى سنة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م .
- علم الدلالة د. أحمد مختار عمر – عالم الكتب بالقاهرة – الطبعة الخامسة سنة ١٩٩٨م .
- علم الدلالة دراسةً وتطبيقاً د. نور الهدى لوشن – منشورات جامعة قاريونس ببنغازي – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٥م .
- علم فقه اللغة العربية .. أصالته ومسائله د. محمد حسن جبل – مكتبة الآداب بالقاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .
- علم اللغة بين القديم والحديث د. عبد الغفار هلال – الطبعة الثالثة – مطبعة الجبلاوي سنة ١٩٨٩م .
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي د. محمود السعران – دار الفكر العربية بالقاهرة – الطبعة الثانية سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .
- العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) تحقيق : مهدي

المخزومي ، إبراهيم السامرائي – مؤسسة الأعلمي – بيروت – سنة ١٩٨٨م .
- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت٢٢٤هـ) – مطبوعات دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن – دار الكتاب العربية – بيروت – سنة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م .
- غريب الحديث لابن قتيبة – صنع فهارسه : نعيم زرزور – دار الكتب العربية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- الغريبين في القرآن والحديث لأبي عبيد أحمد بن محمد الهروي – تحقيق : أحمد فريد المزيدي – المكتبة العصرية – صيدا بيروت – الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .
- الفائق في غريب الحديث للزمخشري – تحقيق : علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم – دار الفكر للطباعة – لبنان سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .
- فعلت وأفعلت لأبي إسحاق الزجاج (ت٣١١هـ) – شرح وتعليق : ماجد الذهبي – الشركة المتحدة للتوزيع .
- في الدلالة اللغوية د. عبد الفتاح البركاوي – الجريسي للطباعة بالقاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
- في فقه اللغة العربية د. فتحي أنور عبد الحميد الدابولي – التركي للكمبيوتر بطنطا – الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .
- في اللهجات العربية – د. إبراهيم أنيس – مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة – الطبعة السادسة سنة ١٩٨٤م .
- قضايا لغوية د. محمد حسن جبل – مطبعة التركي بطنطا .
- القاموس المحيط للفيروزأبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب) – مصطفى البابي الحلبي – الطبعة الثانية سنة ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م .
- كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية لأبي حاتم الرازي (ت٣٢٢هـ) – تعليق : حسين بن فيض الله الهمداني – الطبعة الثانية سنة ١٩٥٧م .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (محمود بن عمر الزمخشري ت ٥٢٨هـ) – نشر دار الريان للتراث – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- الكليات لأبي البقاء الكفوي – مؤسسة الرسالة – الطبعة الثانية ١٤١٩هـ

/ ١٩٩٨م .
- الكامل في اللغة والأدب للمبرد (ت ٢٨٥هـ) – مؤسسة المعارف – بيروت .
- لسان العرب لابن منظور : تحقيق : لجنة من الأساتذة – طبعة دار المعارف .
- اللغة – جوزيف فندريس – تعريب : عبد الحميد الدواخلي ، محمد القصاص .
- اللغة والمجتمع د. علي عبد الواحد وافي – دار نهضة مصر سنة ١٩٧١م .
- مجاز القرآن لأبي عبيدة (معمر بن المثنى التميمي ت ٢١٠هـ) – تعليق : محمد فؤاد سزكين – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثانية سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- مجمل اللغة لابن فارس – تحقيق : زهير عبد المحسن – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤م .
- المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت٤٥٨هـ) تحقيق : د. عبد الحميد هنداوي – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
- مختصر العين لأبي بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الزبيدي الأندلسي – تحقيق : د. نور حامد الشاذلي – الطبعة الأولى – بيروت سنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي – تحقيق : محمد جاد المولى وآخرين – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .
- المصباح المنير لأحمد بن محمد بن علي المقري (ت٧٧٠هـ) – دار الفكر للطباعة والنشر .
- معاني القرآن وإعرابه للزجاج (ت٣١١هـ) تحقيق : د. عبد الجليل عبده شلبي – دار الحديث – الطبعة الثانية سنة ١٩٩٧م .
- معجم الأدباء لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت٣٨٤هـ) – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧م .
- المعنى اللغوي دراسة نظرية وتطبيقية د. محمد حسن جبل – طبعة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م .
- مفاتيح الغيب للرازي (ت٦٠٤هـ) – دار الكتب العلمية – لبنان –

طبعة ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .
- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني – تحقيق : محمد سيد كيلاني – طبعة الحلبي بمصر سنة ١٣٨١هـ / ١٩٦١م .
- مقاييس اللغة لابن فارس – تحقيق : عبد السلام هارون – دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي – الطبعة الأولى سنة ١٣٧١هـ .
- المنتظم لابن الجوزي – مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد – الطبعة الأولى سنة ١٣٥٨هـ .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة – ابن تغري بردي – طبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .
- من قضايا فقه اللسان – مقدمة وبحوث في علم الدلالة العربي د. الموافي الرفاعي البيلي – مطبعة الشروق بالزاهبين – الطبعة الثالثة سنة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .
- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير – تحقيق : طاهر محمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي – دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي .
- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا البغدادي – مكتبة المتنبي سنة ١٩٥٥م .
- وفيات الأعيان لابن خلكان – تحقيق : د. إحسان عباس – دار الثقافة – بيروت – لبنان .
- يتيمة الدهر للثعالبي – تحقيق : د. مفيد محمد قميحة – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣م .

فهرس الآيات القرآنية

الآية	الصفحة
سورة البقـــــرة	
﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾	٥٥
﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ ﴾	٥٤
﴿ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾	٣٥
﴿ وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ ﴾	٦٠
﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾	٢٦
﴿ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾	٤٩
﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾	٢٨
سورة آل عمران	
﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾	٩٩
سورة آل النســـاء	
﴿ مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾	٢٦
سورة المائـــدة	
﴿ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء ﴾	٢٦
سورة المائـــدة	
﴿ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴾	٨٥
﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا ﴾	٤٣
﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا ﴾	٥٦
﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي ﴾	١١٢
سورة الأعـــراف	
﴿ يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ ﴾	٨٢
﴿ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ﴾	٣٦
سورة الأنفـــال	
﴿ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً ﴾	٣٤
سورة التوبـــة	
﴿ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ ﴾	٦٢

الآيـــــة	الصفحة
سورة يوســـف	
﴿ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا ﴾	١٠٠
سورة الرعـــد	
﴿ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾	٣٢
سورة إبراهيـــم	
﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ ﴾	٩٩
سورة النحـــل	
﴿ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ ﴾	٨٧
سورة الكهـف	
﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً ﴾	٥٠
سورة الأنبيـــاء	
﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾	٣٥
سورة الحـــج	
﴿ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾	٤٢
﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا ﴾	١١٢
سورة النـــور	
﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاءٍ ﴾	٤٤
سورة الـــروم	
﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ ﴾	٤١
سورة الصافـــات	
﴿ كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾	٥٧
سورة الرحمـــن	
﴿ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾	٥٦
سورة الإنســـان	
﴿ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ﴾	٨٩
سورة القارعـــة	
﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾	٣٢